الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كليةالعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة ماستر

فلسفة عامة

إعداد الطالب
مزاري مصطفى

يوم: 2019/07/02 التوقيت : 12:00-12:45

الشك بين الغزالي وديكارت

*دراسة مقارنة *

لجنة المناقشة :

- جنان عقبة	جامعة محمد خيضر – بسكرة –	رئيسا
- علية صفية	جامعة محمد خيضر – بسكرة –	مقررا ومشرفا
- حميدات صالح	جامعة محمد خيضر – بسكرة –	مناقشا

السنة الجامعية:2018-2019م

إهـــــــــداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى كل من لا يمكن للأرقام أن تحصي

فضائلهما إلى والديا العزيزين أدامهما الله لي

أتقدم بإهداء هذا العمل إلى إخوتي

شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله
الذي وفقني لإتمام هذا البحث
وبقدرته تعالى تجاوزت الكثير من الصعوبات وأتوجه
بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة
علية صفية على هذه المذكرة المتواضعة وعلى نصائحها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من مقومات الحضارات الانسانية التوجه دوما نحو التقدم العلمي والارتقاء الفكري المبني على اسس ومبادئ متينة، و اذا سلمنا ان كل هذا لابد أن يؤسس على الحقيقة و اليقين ، غير أن التوصل إلى اليقين يقتضى نوعاً من الشك المنهجي المؤقت الذي هو وسيلة الوصول إلى اليقين ، فاعتماد الشك المنهجي ، من قبل بعض المفكرين ، كان بمثابة نقلة نوعية في التفكير البشري ، وهو قد أدّى إلى تمحيص المعارف والتأكد من صحتها ، كما أنه أدّى إلى تحرّر العقول الحديثة ، والاتجاه بها نحو العلوم والإبتكارات العلمية المفيدة .

لقد أنتج ذلك ، انساقا فكرية متحرّرة من كل أشكال الغموض والأوهام ، و اذا سلمنا بان المعارف عند الأقدمين قد تراكمت بواسطة التجارب العملية اليومية ، التي كانت بأساسها ، إما بالصدفة وإما بالسعي لتأمين حاجات معيّنة ، ومع كل هذا التراكم المعرفي والمهاراتي ، كان هناك تطور للشك عند الإنسان ، إلا أنه لم يتجلّى بشكله الصحيح ، كفكر فلسفي ، إلا مع بعض الاعلام والرواد ، وعلى ذلك ستكون دراستنا في إمكان المعرفة من خلال دراسة موضوع الشك، مركزين على علمين رائدين في هذا المجال : احدهما من الفكر الشرقي متمثل في ابو حامد الغزالي ، والآخر من الفكر الغربي متمثلا في ابو الفلسفة الحديثة هو رونيه ديكارت

لقد دفع الشك الفلسفي كل من الغزالي وديكارت إلى السعي نحو الاستقلال العقلي،معتمدين على وعيهما بضرورة وجود حقيقة واحدة مطلقة ، والبدء بطريقة جادة للوصول إليها،مقتنعين اقتناعا ثابتا بإمكان التوصل غلى معرفة هذه الحقيقة .

لهذا فقد بدا لنا اتباع كل من الغزالي وديكارت أسلوب الشك المنهجي الذي هو ليس شكا حقيقيا بل هو منهج يفترضه صاحبه بإرادته ، وذلك لاختيار معلوماته وتطهير عقله من الأخطاء وهو وسيلة وليس غاية وهو خطوة للوصول إلى اليقين.

ولهذا فقد اخترنا التطرق لهذا الموضوع ، الذي يتمحور حول طبيعة الشك عند كل من الغزالي وديكارت ، نتيجة دوافع واسباب عدة منها

أ – أسباب ذاتية:

فضولنا العلمي ورغبة منا في دراسة هذه الشخصيات

حب التطلع والتعمق في رجال ساهمت في الفكر الانساني والأحداث التاريخية .

ميولنا ورغبتناالقوية في دراسة مسألةالشك الفلسفي.

الاستزادة في هذا الموضوع للاستفادة منها وتوظيفها في قضية الانتاج الفلسفي

ب – أسباب موضوعية :

هي أن كل من الغزالي وديكارت مثلا في عصرهما انموذجا من المناهج التي كانت سائدة أنذاك ونقصد هنا منهج الفلاسفة والعلماء

اجراء مقارنة بين فكرين متميزن لعلمين في الفكر الفلسفي.

نقد وتمحيص للانتاج الفلسفي لكل من الغزالي وديكارت

وفيما يخص أهميـة الموضوع ، فقد كانت بالنسبة لنا متمثلة في :

إزالة الغموض حول الشك المنهجي لدى كل من ديكارت والغزالي

كشف الحقائق عن مدى الاثر الفكري للامام ابو حامد الغزالي .

محاولة تقديم إضافة في البحث العلمي من خلال البحث في المصادر عن شذوات الكتب الضائعة التي ذكرت فيها شخصية الموضوع.

لذى كانت أهداف الدراسة متمثلة في أثرالشك المنهجي في فكر كل من الغزالي وديكارت وفي فلسفتيهما ، **وفي** اظهارقيمة فكرالغزالي والفكر الديكارتي.

و انطلاقا من رؤيتنا ، نرى بان الشك عند ديكارت ليس مطلوب لذاته ولكنه مطلوباً لليقين، فشكَّ في الحواس وشكّ في العقل، أليس هذا هو ذات الشك عند الغزالي؟! وديكارت جاء بعده بقرون ألم يكن ما كتبه ديكارت تقليد للغزالي؟ ما كتبه ديكارت "مقال عن المنهج" و"التأمُّلات"، حيث التشابه الشديد بينهما وبين ما قدَّم الغزالي في "المنقذ من الضلال" ، لعل هذا ربما يؤكد تأثر الفيلسوف الفرنسي بفيلسوفنا وأخذه عنه ، وهذا ما لمسناه عند يوسف كرم في كتابه"تاريخ الفلسفة الحديثة"

ولهذا فان موضوع دراستنا يتمركز حول طبيعة الشك عند الغزالي وديكارت انطلاقا من الإشكال التالي ما طبيعة الشك بين ابى حامد الغزالي وديكارت؟

هذه الإشكالية تنحل بدورها الى مجموعة من المشكلات التي يمكن حصرها فيما يلي:

- ما طبيعة الشك عند ابو حامد الغزالي ؟
- وما طبيعة الشك عند رونيه ديكارت ؟
- وهل كانت العلاقة بينهما تاثير وتأثر ام امتداد تاريخي للفكر الفلسفي؟

- وهل يمكن ان نعقد مقارنة بين الشك عندالغزالي والشك عند ديكارت؟

وللإجابة على كل تلك الأسئلة اهتدينا الى خطة منهجية تضمنت مقدمة، أربعة فصول و خاتمة، بحيث كان الفصل التمهيدي بمثابة مدخل الموضوع من خلال تطرق إلى ماهية الشك عند الفيلسوفين الغزالي وديكارت ، فتطرقنا إلى: مفهوم الشك وأنواع الشك هذا بالنسبة للمبحث الأول ،أما في المبحثين الثاني والثالث تطرقنا إلى سيرة موجزة لكل من ابو حامد الغزالي و رونيه ديكارت إضافة إلى أهم أعمالهما .

وفي الفصل الاول تناولنا الشك وطبيعته عند ابي حامد الغزالي من خلال إلى أربعة مباحث ، تطرقنا في المبحث الاول الى أزمة الشك التي تعرض لها ، وفي المبحث الثاني الى مجالات الشك عنده ،و في المبحث الثالث الى منهج الغزالي في العلم والمعرفة، وفي المبحث الأخير قمنا بالتقييم والنقد

أما الفصل الثاني كان معنونا ب طبيعة الشك عند رينيه ديكارت، وتعرجنا فيه إلى أربعة مباحث ،المبحث الأول يتناول رحلة ديكارت في بحثه عن المعرفة ،والمبحث الثاني فيه الشك المنهجي والكوجيتو الديكارتي ،أما المبحث الثالث كان عن المنهج الديكارتي، وفي المبحث الأخير قمنا بتقييم والنقد.

أما بالنسبة للفصل الثالث ختمناه بالمقارنة بين الشك الغزالي والشك الديكارتي من خلال أوجه التقارب والتشابه بين الشكين لكل من الغزالي وديكارت هذا بالنسبة للمبحث الأول، أما المبحث الثاني فكان أوجه التباين والإختلاف بين الشكين، وفي المبحث الثالث تناولنا العلاقة بين الشك الغزالي والشك الديكارتي وفي الاخير قمنا بالنقد والتقييم.

ولتجسيد هذه الخطة كان لابد لنا من الاعتماد على منهج للدراسة_، يتلائم مع طبيعة الموضوع ، فاستخدمنا كلا من المنهج التاريخي (للسرد التاريخي) والمنهج التحليلي ، والمنهج المقارن (للمقارنة بين فكر الغزالي وديكارت في الشك)

واعتمدنا في هذا البحث على مصادر أساسية لعل أهمها كتب أبوحامدالغزالي ،منهاالمنقذمن الضلال،و الاقتصاد في الاعتقاد، و ميزان العمل ، و احياء علوم الدين ،معيارالعلم في المنطق، وكتب رينيه ديكارت،منها تأملات ميتافيزيقية في الفلسفةالأولى، و مقال عن المنهج، و قواعد الفكر وتوجيه.

وفي هذا السياق حري بنا التطرق لبعض الدراسات السابقة في هذا الميدان ، نذكر منها:

- دراسة محمود حمدي زقزوق في كتابه المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت.
- دراسة محمد حسن مهدي بخيت في كتابه ظاهرةالشك بين الغزالي وديكارت.
- دراسة محمد عقبل المهدلي في كتابه المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت للوصول الى الحقيقة

وتجدر بنا الإشارة في هذا الموضع ، ذكرالصعوبات التي واجهتنا في معالجة هذاالموضوع ، منها صعوبات فرضتها طبيعة الموضوع بحيث لمسنا فيه من التعمق الشيء الكثير ، ولعل هذا هو السبب وراء اختلاف الآراء حول الشك في فكر الغزالي وفكر ديكارت، و هو ما شكل لنا صعوبة أخرى، اضافة لضيق الوقت بين فترة التربص وانجاز المذكرة ، و قلة المراجع في شكلها المطبعي في هذا الموضوع ، مما الزمنا اللجوء الى ماهو متوفر منها على شكل الكتروني ، اضافة لصعوبةالتعامل مع بعض المصادرالمرتبطة بالبحث ، و عدم توفربعض الترجمات رغم أنها تلعب دورأساسي في المذكرة، و عدم توفر بعض المؤلفات .

لكن مع ذلك نتمنى أن يكون بحثنا هذا قد وفى حقه من الفهم وقلل من درجة الغموض ، ونحمد الله عز وجل على ما قدرة لنا من توفير الاسباب والظروف من اجل اتمامه ، وعلى ما يسره لنا

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

المبحث الاول :مفهومالشكوأنواعه

المبحث الثاني:حياةالغزالي.

المبحث الثالث:حياةديكارت.

خلاصة الفصل

المبحث الاول :مفهومالشكوأنواعه

أولا :تعريفالشك.

1 - الشكفياللغة:

لفظ" الشك "مأخوذمنشكيشكشكاويجمععلىالشكوكوفيمعاجماللغةتوجدمعانكثيرةلمادة{ الشينوالكاف } منها:

أ-الشكبمعنىالتداخل:قالابنفارس:

<<الشينوالكافأصلواحدمشتقبعضهمنبعض،وهويدلعلىالتداخلمنذلكقولهمشككتهبالرمح،وذلكإذاطعنتهفداخ لالسنانجسمه>>[1]

ب- الشكبمعنىنقيضاليقين :

فالشكيستخدمكمقابلللليقينفنقولشككتفيالأمروشككتفيهبمعنىدهبيقينيأونسميبذلكلأنالشاككأنهشكلهالأمرانفيمش كواحد،وهولايتيقنواحدامنهما،فمنذلكاشتقاقالشك،نقول :<< شككتبينورقتين،إذاأنتغرزتالعودفيهمافجمعتهما>>[2].

نجدفيموسوعةالفلسفةأنالشكيعتبرحالةنفسيةيترددمعهاالذهنبينالإثباتوالنفيويتوقفعنالحكم،وذلكبالجهلبظ روفالموضوعوجوانبه،أوالعجزعنالتحليلاو البحثفيالموضوع[3].

2- الشكبالمعنىالفلسفي.

قبلأن

نعاينماهيةالشكبالنسبةللفيلسوف،يجبعلينا أننشيرأنهناكارتباطاوثيقابينالعالموالفيلسوف،منحيثأنكلامنهمايتخ ذمنالشكمنهجاأووسيلةفيالتفكير،فالعالملايضعفيحسبانهنتائجمعينة،

أيلاأنهلايتوقعنتائجمعينةأيأنهلايتوقعنتائجمعينةوهومقدمعلىبحوثهالعلميةكماهوالحالأيضابالنسبةللفيلسو ف،وهوأيضالايتوقعنتائعمعينةفيشكه،ولهذاعرفالشكالفلسفيعلىأنهالوقوفأمامجموعةمنالمتغيراتأوالاختياراتو وهذايتطلبمنا أننلقيببعضالضوءعلىمعنىالفلسفةحتىتتضحلنا الصورةالذهنية،التي

---

[1])- أبيحسينأحمدبنفارسبنزكرياء،معجممقاييساللغة(بتحقيقوضبطعبدالسلاممحمدهارون)،دارالفكرللطباعةو النشر ، دمشق سوريا،ج 3 ، ط 1، 1979 ،ص 173 .

[2])- المرجعنفسه ،ص173 .

[3])-إبراهيممذكور،المعجمالفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،القاهرة مصر، د ط ، 1403هـ - 1983م،ص 104 .

نعنيها عندما نذكر الشك الفلسفي، فالفيلسوف يجب أن يمر بمرحلة الشك الفلسفي حتى يتسنى له أن يختار من بين المتغيرات مستمرة التدفق في حياة الفيلسوف[1].

كما يعتبر الشك من جانب مقابل ظاهرة صحية ووظيفة ذهنية، ودلالة على تمتع المرء بالعقل، وذلك لأنه يشكو يفكر محاولا الوصول إلى اليقين، والشك لابد أن يمارسه المرء بغير إفراط وبغير تفريط، فإذا مارسا المرء الشك بإفراط أصبح يشكفي أي موقف، أو في أي فكرة التي لا ينبغي الشك فيها وهذا النوع يعتبر شخصا غير عاقل، ونجد أنه يقال أيضا نفس الشيء عن الشخص الذي لا تنبعث فيه أي حيرة أو شك في المواقف أو الأفكار التي تستوجب الشك فيها، فهذا النوع يكون صاحبه يعاني أو مصابا بداء الإمعية

ونقصد بهذا الأخيرة التصديق الساذج بغير إعمال الفكر، أو بغير اللجوء إلى النقد، أي أن صاحبه يتقبل أي فكرة دون أن يستخدم عقله دون محاولة معرفة الأسباب، فيكون موقفه اتجاه الفكرة القبول بها دون أي مبرر اتو هذا يعني أن هذا الشخص لا يتمتع بصحة نفسية جيدة[2]

منخلال التعريف نا للشك عبر العصور المختلفة، وما تعرضنا له منخلال السرد التاريخي لهذه الظاهرة، قد اتضح لنا أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه ومنهجيته والنتائج التي تتوصل إليها.

ثانيا :أنواع الشك:

منخلال التعريف نا للشك لغة واصطلاحا اتضح لنا أن الشك أنواع متعددة، فهو عند البعض عبارة عن نظرية في المعرفة، وقد أعتمد عند الكثير من الفلاسفة منهجا للتفكير، وبقيت له قيمته في البحث الفلسفي والعلمي فيمختلف صوره وأنواعه ، ولعل من أهم أنواع الشك التي سنوضحها ما يلي:

أ- الشك المطلق :

صاحب هذا النوع من الشك يبدأ شاكا وينتهي شاكا، ويكون هذا الشك غاية وليس وسيلة إلى غاية أخرى، يهدف إلى تحقيقها كاليقين والمعرفة الصادقة، أي أن الشك

[1]- يوسف مخائيل أسعد، سيكولجية الشك ، نشر مكتبة غريب، القاهرة مصر ، ط1 ، 1998، ص 145 .
[2]- المرجع نفسه، ص 145.

الحقيقيليسوسيلةيستخدمهاالشاكللوصولإلىاليقين،وهوالشكلالذييتضمناستحالةانعداماالثقةفيأدواته.

ب - **الشكالمنهجي** :وهوالمنهجالذييفرضهالباحثأوالفيلسوفبمحضإرادته ، لاختبارمالديهمنمعارفومعلومات،محاولابذلكتطهيرعقلهمنكلمايشوبهمنأكاذيبومغالطاتوأضاليل،وتدريبهعلى تكوينملكةالنقدوالتحليلمنأجلمناقشةالمبادئالأوليةالسابقةللوصولإلىمبادئأوليةأخرىواضحةومميزةبحيثيقيمعليها قضاياهيقينية.

والإنسانبطبيعتهلهبعضالأحكاموالتصوراتالخاطئةيقولالدكتورتوفيقالطويل :

هذاالشكالمنهجيخيرطريقةلإنقاذهذهالأخطاء،فهذاالنوعمنالشكهوخطوةتوصلناإلىاليقين،وتؤدينابنإلىالمعرفةا لصادقة،فهووسيلةوليسغايةفيذاته،يزاولهالباحثبإرادتهوهوعبارةعنمرحلةمؤقتةيمربهاالباحث،للوصولإلىالحقي قةباعتبارهمنهجللتفكير ،فلابدأنيكوناستخدامهمؤقتالحينتحقيقأهدافهالمرجوةمنه،أمالمذهبفيبقىدائما لأنهمطل وبفيذاته[1].

بعدعرضنالأنواعالشكيمكنالقولأنالشكالمطلقيختلفكلالاختلافعنالشكالمنهجيفهذاالأخيرهووسيلةيتخذهالباحث أوالفيلسوفللوصولإلىالحقيقةفهذاالنوعمنالشككانلدىبعض المفكرين والفلاسفةحيناتخذوهمنهجاللتفكير للاقتراب من الحقيقة .

المبحث الثاني:حياةالغزالي.

[1])-توفيقالطويل، أسسالفلسفة،مكتبةالنهضة ، القاهرة مصر ، ط3، د ت ، ص(239 - 240).

أولا :مولدهونشأته.

هوأبوحامدمحمدبنمحمدبناحمدالغزالي ،منموالید1058(-1111م)

450 - 505 (هـ)،ولدفيطوسإحدىمدنخراسانمناسرةفقيرةالحال،إذكانأباهيعملفيغزلالصوفوبيعه.

ابتدأطلبهللعلمفيصباهعام 465

هـ،فالتحقبإحدىالمدارسالشهيرةفيطوس،حيثأخذيتعلمالفقهعلىيدالشيخالإسماعيلي،وفيعام 473

هرحلالغزاليإلىنيسابوروالتحقبمدرستهاالنظامية،حيثكانيدرسأماماالحرمين،ضياءالدينالجويني،فأخذالغزالي عنأستاذهالفقهوالمنطق،وأخذعنهالجرأةفيالنظر،وخروجاعنمسالكالتقليد،وكانالغزاليمتفوقا،فأعجببهأستاذهوجعلهمساعدالهفيالتدريس.

وبعدرحلتهلنيسابورانتقلأبوحامدالغزاليإلىبغداد

،حيثدرسبالمدرسةالنظاميةحتىأعجببهالناسلحسنكلامهوفصاحةلسانه،وكمالأخلاقه[1].

حيثكانمدرسافيبغدادفدرسالعلم،فكانلهأثركبيروبصمةواضحةفيعدةعلوممثلاالفلسفةوعلمالكلاموالتصوفوالمنطق،حيثلقببالإمامل‌مكانتهالعاليةأثناءالتدريسبالمدرسةالنظامية،فكانيدرسأكثرمن 300 منالطلابفيعلمالكلاموأصولالفقه،انهمكالغزاليفيالبحثوالاستقصاءوالردعلىالفرقوالمذاهبالمخالفةفألفكتابه " مقاصدالفلاسفة "

مهاجمامجموعةمنالطوائفوالمذاهبمبيناتهافتمنهجهموهاجمأيضاالفكرالباطنيوهماالإسماعيليةالذيكانمنتشرافيوقته .

بعدهذهالخطواتالمهمةفيحياةالغزالي ،قرر اعتزالالناسوالتفرغللعبادةمتأثرابذلكبالصوفية،فانفردبنفسهوعاشعيشةالزهادعدةأعوام، ثمعادإلىحياةالتدريسإلىأنتوفيسنة 1111 م [2].

الفصل التمهيدي

نلاحظأنحياةالغزاليكانتعبارةعنعدةرحلاتغيالتدريسوكذلكمرورهبعدةمراحلمهمةفيحياتهاالفكرية،فقدخاضفيالفلسفةثمرجععنهاوردعليها،وخاضبعدذلكفيمايسمىبعلمالكلاموأتقنأصولهومقدماته ،ثمرجععنهونقدالباطنيةكذلكوأظهربطلانعقائدهم

[1])- يوحناقمير، فلاسفةالعرب" الغزالي " ،المطبعةالكاثولكية، بيروت لبنان ، ط3،ج1، 1953،ص 07 .
[2])- المرجع نفسه ،ص08 .

،وتلاعبهمبالنصوصوالأحكام،ثمسلكمسلكالتصوففهذههيأهمأربعأطوارمربهاأبوحامدالغزالي فيحياتهالفكرية.

ثانيا :مؤلفاتأبوحامدالغزالي.

لقدألفالغزاليالعديدمنالكتبالتيلهاقيمةكبيرةعبرالتاريخ،فرغمأزمتهالنفسيةو الشكوكالتيأمرضتهإلاأنهألفكتبايشهدلهاالتاريخونذكرأهممؤلفاتالغزالي التيشملتعدةأقسام:

أ **-فيالفلسفة :**

كتابمقاصدالفلاسفةوهوموجزللعلومالفلسفية،إذبسطفيهالغزاليالمنطقوماوراءالطبيعة،والغايةمنتأليفهذاالكتاب علىحسبرأيالغزالي هوأنهذاالكتابماهوإلاتوضيحلكلامالفلاسفةوبذلكفلايكونفيهالغزالي سوىعارضامحايدلجميعالبراهينالتيظنوأنهماستطاعواأيالفلاسفةأنيقدموهالمصلحتهم،فغايةهذاالكتابإذنهيعرضمقاصدالفلاسفة ،وهذاهوإسمه "تهافتالفلاسفة"وهومنأهمكتبهالفلسفيهقصدبهالردعلىابنسيناوالفارابي.

بفيعلمالكلام : - "كتابإلجامالعوامعنعلمالكلام".

– "كتابالرسالةاللدنية".

جفيالتصوف :كتاب "إحياءعلومالدين" ومكونمنأربعةأجزاء،قسمكلجزءمنهاإلى-

عشرةكتبوقدعالجفيهالغزاليآدابالدينوالأخلاقوالتربيةوالتصوف.

- "ميزانالعمل".

- "مشكاةالأنوار "[1].

وقدذكرأيضاعبدالرحمانبدويالعديدمنكتبالغزاليفيكتابهمؤلفاتالغزاليونذكرمنهابعضالكتب:

-"التعليقةفيفروعالمذهب".

-"البسيطفيالفروع".

- "الوسيط".

-"الوجير" .

- "المنتحلفيعلمالجدل".

[1]- كاملمحمود ،دراساتفيتاريخالفلسفةالعربية ،دارالفكراللبناني، بيروت لبنان ،ط 1 ، د ت ،ص(167-168).

- "المبادئوالغابات" .

" -معيارالعلمفيالمنطق" .

" -مشكاةالأنوار "[1]

من هذا السياق لابد ان نشير أنهنالكالكثيرمنالكتب، والمؤلفاتللغزاليالتيلميتسنىلناذكرها،فالغزالي كانذوفكرغزيروسعةإطلاع،وفصاحةلسانتلكالتيجعلتهيؤلفالعديدمنالكتبفيمختلفصنوفالعلم،التيمازالأثرهافيالفلسفةالإسلامية،وفيالفكر الانساني إلىحدالآن.

المبحث الثالث: حياةديكارت.

أولا :مولدهونشأته.

رينيه ديكارت(René Descartes)فيلسوففرنسيالمولد،منبين اهمفلاسفةالقرنالسابععشر،كانأبرزروادالاتجاه العقلاني ،ومؤسسفلسفةالأفكارالواضحةالمتميزة،بحْيثيكونمن أوائلمنجددفيالفكرالفلسفيالحديثمعلنابذلكانقلابه علىالفكرالمدرسيبتقديمهنسقاحديثا،ولدفي 31 مارس 1595 مبمدينةلاهية ،

[1]- عبدالرحمنبدوي،مؤلفاتالغزالي ، نشروكالةالمطبوعات،الكويت، ط 2 ،1977، ص148 .

يعدرائدالفلسفةالحديثة،وفيالوقتنفسهرياضياممتازالذلكنجدهقدابتكرالهندسةالتحليلية ،درسبمدرسة"لافليشللسيوعيين" .

بدأمرحلتهالفلسفيةفيالبحثعنمعرفةيقينيةمشابهةلذلكاليقينوالدقةالموجودةفيالعلومالرياضية،انتقلفيمابعدليتحصلعلىشهادةليسانسفيالقانون ،الى جانبالدراسةانخرطديكارتفيمابعدفيصفوفالجيش[1]، لكننظرالجسدهالنحيلوصحتهالتيلاتقوىاعتزلالجيش،واخذيجولالعالمباحثاعنهدوءالارجاءليتيحلهذلكالتأملومنثمالابداعفيمجالالفلسفة.

مماسبقيمكنالقولباندراسة ديكارتفيمدرسة"اليسوعين"(التي كانت من اهمالاتجاهات فيحركةالنهضة)،كانأكثرمالفتانتباههواهتمامهوالدقةواليقينالموجودفيالرياضيات،كماعرفعلىديكارترغبتهفيالعزلةليفتحلهالمجاللتفكيردونأيتشويش.

تحصلديكارتعلىشهادةليسانسفيالقانون،شهدتحياتهالعديدمنالسفراتالىاناستقرفينواحيمدينة"اولم" (جنوبيالمانيا)ايناستقرفيغرفةتوسطتهامدفأةأطلقعليهاالمؤرخوناسم" مدفأةديكارت " ،وفيهاحدثتالرؤيةالعجيبةوهيرؤيا علمرياضيعلىشكلثلاثأحلامفسرهاديكارتبانهادعوةلإنشاءعلممدهش، واعتبرهادعوةصريحةموجهةاليهمناجلبناءعلمحقيقيلهمصداقيةوفعاليةعلىارضالوجود،منأجلذلكسافرديكارتالى شمالفرنسابا حثاعنالخلوةوالهدوءفيالريفومنأجلهذاالمبتغىالأخيرسافرالىهولنداواستقرفيهاحتىنهايةحياته[2].

الفصل التمهيدي

لذا فقد كانتهذهالاحلاموالرؤياالثلاثلهاتأثيرواضحفيحياتهوفيمشوارهالفلسفي<<اماشخصيةديكارتكانتموضوعاكبيرا للنقاشوالتحليلفميلهالكبيرالىالتكتمبالإضافةالىميلهشيئافشيئاالىانيخفىكلاهتماماته>>[3].

وبالتاليلايمكن ان نستنتجبانالفيلسوفديكارت،ذو شخصيةتخفيفيطياتهاعبقريةفذةتميلالىالعزلةوالانطواءباحثاعنسكينةالارجاءالتيتهيئلهاالجوالملائملاستظهارمواهبهوكشف ابداعاتهفيمجالالمعرفةبوجهعاموالفلسفةبوجهخاص،ولعلماوصلالينا عنهذاالفيلسوفكانىنتيجةكتبهومؤلفاته.

---

[1])عبدالرحمانبدوي ،موسوعةالفلسفة ،المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر، بيروت لبنان ،ج1 ،ط1 ،1984م ، ص (488-489)
[2])- فؤادكاملوآخرون ، الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،دارالقلم ،بيروت لبنان ،ط1 ، د ت ،ص(189-190)
3)- زكينجيبمحمود ،الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،دارالقلم ،بيروت لبنان ،ط1 ،د ت ، ص189

ثانيامؤلفاته:قدمديكارتلغيرهمنالفلاسفةوالباحثين

،جملةمنالكتبوالمؤلفاتالتييوثقفيهاأفكارهوآرائهالفلسفيةالتيتخصهوحده ،لعلاهمهافيمايلي:

1-"قواعدلهدايةالعقل" :

هذاالكتابعنوانلمنهججديدتموضعهمنقبلديكارتحاولمنخلالهالتوصلالىالدقةواليقينالموجودفيالعلومالريا ضية،والذيألفهفيسنة 1628 مولكنلمينشرالابعدوفاته[1].

2-"العالم"أوكتاب"النور":وهوعنوانرسالتهتراجعلنشرهابسببسماعهعنادانة غاليلو، وذلكلانمضمونهاكانيدعواالىالمذهبالكوبرنيكي،والذيالفهفيبدايةالستيناتمنالقرن 17 م[2] .

3-مقالاتفيموضوعاتفيزيقيةرياضية،اتبعهاب"مقالفيالمنهج"[3] .

"تأملاتفيالفلسفةالأولى"والذيألفهسنة 1641 م.

"مبادئالفلسفة"هذاالكتابصدرعام 1644 م،يفسرفيهاصلالكونوالاشياءبالرجوعالىالمادةزان،هذهالأخيرةأيالمادةفيحالةحركةومنهاتتشكلالاجسام[4].

4-كتبفيعلمالنفس: "انفعالاتالنفس"وهواخرمؤلفاتهالذيصدرعام 1644 م،وهويحتويعلىأرائهفيالنفس[5]

الفصل التمهيدي

ويمكن القول انهذهالمؤلفاتانطوتعلىافكارديكارت،توجهاتهونظرياته

خلاصة الفصل

- الشك المنهجيهو منهج يتبعه الباحث أو الفيلسوف لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولاً بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب ومغالطات ، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية .

-ولقد اتبع كثير من الفلاسفة و المفكرين في العصور المختلفة أسلوب الشك المنهجي، ويمكن اعتبار ابو حامد الغزالي (عاش بين1058-1111م،ولد بطوس في خراسان)من أبرز أعلام الشك

1)- تيد هوندرتش(Ted Honderich) ، دليل أكسفورد للفلسفة ، تر:نجيبالحصادي ،المكتبالوطنيللبحثوالتطوير ،ليبيا ، د ت ،2003 ، ص366.

2)- فؤادكاملو آخرون ،الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،ص189

3)- المرجعنفسه ، الصفحة نفسها.

4)- تيد هوندرتش(Ted Honderich) ، دليل أكسفورد للفلسفة ، تر:نجيبالحصادي ،ص367 .

5- فؤادكاملو اخرون ، الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،ص368 .

المنهجي ، واعظم ممثل له في الفكر لإسلامي ،وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله حيث رأى أن الشك هو الذي يجعل الوصول إلى الحقيقة ممكناً.

-وكمثال عن الفكر الغربي، نرجع لما شهدهالقرنالسابععشر ،منظهور الفيلسوفرينيهديكارت(عاش بين31مارس 1596م-11 فبفري 1650م، ولد بفرنسا وتوفي
بالسويد)،ذلكالفيلسوفالذيلعبدورامهماًفيمجالالفلسفةالعقلية،التيكانتتهدفإلىالوصولإلىالمعرفةواليقينفيالفكر ،تا ركاًبصماتهالخالدةفيالعصرالحديثكله ،فترتكزفلسفته علىالشكالمنهجيالذيمنخلالهتوصلإلىمعرفة الحقائق،فهيتبدأبالشكوتنتهيباليقين.

الفصل الأول

الفصل الاول : الشك وطبيعته عند ابي حامد الغزالي

تمهيد

المبحثالأول : أزمةالشكعندالغزالي

المبحثالثاني : مجالات الشك عند الغزالي

المبحث الثالث: منهج الغزالي في العلم والمعرفة

المبحث الرابع : تقييمونقد

ملخص المبحث

لقد شهد العالم الاسلامي تعدد الاتجاهات وتشعبالفرق والمذاهب الإسلامية ، مابينفرق كلامية ، واخرىباطنية ، وفلاسفة ومتصوفة وغيرهم، مما جعل الباحث عن الحقيقة شارد الذهن ومشتتا، مما دفع بالإمام الفيلسوف أبو حامد محمد الغزالى (450-505هـ / 1058-1111م) أن يطلع على كافة علوم زمانه الدينية والعقلية لكى يصل إلي الحقيقة عبر المنهج الشكي ، مما يجعلنا نتساءل : ما طبيعة الشك عند الغزالي ، وما هو المنهج الذي اتبعه في هذا الميدان لبلوغ الحقيقة او الاقتراب منها ؟

المبحثالأول : أزمةالشكعندالغزالي.

فهذهالأزمةأصابتهبسببالشكوكوالحيرةالتياستولتعليهوأمرضتهفينهايةالثلاثيناتمنعمره،معالعلمأنالسنالذيأصيبفيهالغزاليبهذهالأزمةالنفسيةوالفكريةغيرمتفقعليه ، و قد عرض الغزالي قضية الشك في عدد من مؤلفاته من بينها "المنقذ من الضلال" ، ويمكن هذا الكتاب سيرة فكرية يصف المؤلف به تطور فكره ومنهجه في البحث عن الحقيقة .

فالشكيعد منالظواهرالنفسيةالتي لاتظهرفجأةو انمايدبإلىالنفسدبيباخفياحتربماالاتشعربهنفسصاحبه ،ثملايزاليقوىعلىالأيامشيئافشيئاحتىيضايقالنفس و يخنقها
،كذلكقديصيبالمرءلأسبابعدةيعاونبعضهاعملىبعض ،وقديخفيبعضهذهالأسبابحتىلاتقععلىأعينالباحثين ،لذلكيختلفكثيراحولتحديدزمنهوكذلكتحديدأسبابه
،فمنهنااختلفالباحثونحولتحديدزمنهذهالأزمةالتيانتابتالغزالي.

ومنهذاالقولنفهمأنالشكقد يكون عبارةعنمرضنفسييصيبالإنسان
،دونإعطاءمؤشراتمسبقةفلايدركالإنسانكيفومتىأصيببهذاالمرضالنفسي
،لذلكلايمكننلناتحديدزمنهولهذالميستطعالباحثيأوالمفكرينتحديدزمنمعينللأزمةالنفسيةوالفكريةالتيأصابتالإمامالغزالي[1].

[1]- سليماندنيا ،تهافتالفلاسفةللإمامالغزالي، دار المعارف،القاهرة مصر ، ط4 ، د ت،ص52 .

يبينلنا الإمام الغزالي أنأزمتها شتدتعليهمرتين، الأولىدامتنحوشهرينقبلتبنيهللتصوف
،والثانيةدامتقرابةستةأشهربعداختيارهللتصوف،فأزمتها الأولىيذكرلنا الغزالي

أنهشكفيكلمنالحواسوالبديهيات ،ودامتهذهالأزمةمدةشهرينبالتقريب،وهوعلىمذهبالسفسطة
،وفيهذاالصددييتحدثالغزاليوهويصفحالةالشكالتيعصفتبهعصفاشديداقائلا :
<<ثمفتشتعلوميفوجدتنفسيعاطلامنكلعلمبهذهالصفة(اليقينية)
إلافيالحسياتوالضرورياتالجلياتفانتهببيطولالتشككإلىأنلمتسمحنفسيبتسليمالأمانأوالوثوقفيالمحسوساتوأخذالشكيتسعفيهاوتقولنفسي :منأينالثقةبالمحسوساتو أقواها حاسةالبصر ،وهيتنظرإلىالظلفتارهواقفاغيرمتحركا
،فلعلهلاثقةبالعقلياتالتيهيمن الأولياتكقولناالعشرةأكثرمنالثلاثة ،فقالتالحواسبمتأمنأنتكونثقتكبالعقلياتكثقتك
بالمحسوسات،فتوقفتالنفسفيجوابذلكقليلاوأيدتإشكالهابالمناماإمااتراكتريفيالنوم
أموراوتتخيلأحوالاثمتستيقظفتعلمأنهلميكنلجميعمتخيلاتكأصلوطائل>>[1]

منخلالهذاالقوللللإمام يتبينلناأن الغزالي شكفيجميعالحقائقالمتعارفعليهاوبدأيبحثبنفسه
عنالحقيقةلكييتوصلهوبجهدهعلىاليقين
،حتىيصبحإيمانهبالإسلامقائماعلىالاقتناعالذاتيوليسعلىالوراثةمنالوالدين
،فإذاتتبعناأهميةالشكفيمؤلفاتالغزالي ،فإنناستطيعأننبينأنهقددعامنذالبدايةإلىالاستقلالالعقلي
،وفحصكلالآراءالمدرسيةو الطائفيةالتيواجههافيعصره
،فهويتحدثعلىسبيلالمثالفيكتابه"الاقتصادفيالاعتقاد"،عنضرورةفحصالحقيقةفحصامجرداغيرمسبوقبأحكام
معينةويقولفيذلك:<<طائفةاعتقدواالحقتقليداوسماعا>>[2].

فقد لاحظ الغزالي في جيل مبكر تعدد المذاهب الفكرية واختلافها في بيئته الثقافية والفكرية ، وقد وصفها بقوله : <<كبحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه الا الأقلون وكل فريق يزعم انه الناجي...>>[3].

هذه الاختلافات دفعت الغزالي الى دراسة وبحث المذاهب الفكرية المختلفة ، للإطلاع علىأسرارها، كي يميز بين محق ومبطل ، حيث وجد ان الانتماء الفكري لمذهب معين ينتج عن التقليد وليس نتيجة للبحث والدراسة <<حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت علي العقائد الموروثة ، على

[1]- أبوحامدالغزالي ، المنقذمنالضلال، تحقيقكاملعياد، دارالأندلس ، بيروت لبنان، د ط ، د ت ،ص 80 .
[2]- أبوحامدالغزالي،الاقتصادفيالاعتقاد ، مطبعةالسعادة،محافظةمصر ، ط 2 ، 1327 هـ ،ص 07 .
[3]-الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص78.

وصبيان اليهودلا نشوء لهم الا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الاسلام>>[1]

، وعند توصله الى هذه النتيجة اخذ يبحث عن حقيقة الفطرة الاصلية التي تشكل الاساس لبداية البحث عن الحقيقة.

وتكتسب هذه العقائد الموروثة عن الاباء والمعلمين بواسطة التقليد المنافية للتفكير المستقل والبحث الهادف الى الوصول الى الحقيقة. لذلك نراه يوصي احد تلاميذه <<جانب الالتفاف الى المذاهب ، ولا تكن في صورة اعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بانه اهلكك و اضلك عن سواء السبيل ، وستعلم في عاقبة امرك ظلم قائدك، فلا خلاص الا في الاستقلال >>[2]، فهذه دعوة واضحة للبحث عن الحقيقة بصورة ذاتية ومستقلة ، وعدم اتباع مذهب معين باعتباره يملك الحقيقة ويوفرها لأتباعه.

انطلاقا من هذا فان الغزالي يؤكد هنا على اهمية المنهج في التفكير الصحيح، فالباحث عن الحقيقة يجب ان يكون مستقلا وغير منتمي لمذهب معين:<<وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب .... فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا >>[3]

فالغزالي يرى بان اخذ المعرفة بواسطة المذهب تقوي عند المقلد ميول التعصب وتصعب عليه رؤية الحقيقة او التميز بين الحق والباطل ، فهو لا يستطيع رؤية الحق خارج الاطار الفكري الذي ينتمي اليه، وهو ينفي امكانية وجود الحقيقة في مكان اخر ويعتقد بوجود الحقيقة فقط في اطاره.

يصف الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال " تجربته الشخصية في البحث عن الحقيقة ، والذي يعتبر مراجعة ذاتية وتقييما لتطوره الفكري ، وتكمن اهمية هذا التقييم في كشف ارائه ضد التقليد كونهااحدى العوامل المهمة في تطوره الفكري، ويلاحظ استعماله لضمير المتكلم في وصفتجربته الذاتية ، وبالرغم من ان مسار كشف الحقيقة الموصوف كان فرديا ، إلا انه يستطيع كل انسان ان يجرب هذا المسار.

---

[1])- الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص81.
[2])- أبوحامدالغزالي ، ميزان العمل ، تقديم علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، د ط ، 1995، ص 222.
[3])- أبوحامدالغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ج3، د ط ، د ت ، ص 75.

وهنانجدالغزاليبقعفيأزمةالشكحتنفيالمعقولاتوتستمرأزمتهمايقربمنشهرين،وذلك كماجاءفيقوله: <<فأعضلالداءودامقريباًمنشهرينأنافيها علىمذهبالسفسطةبحكمالحال لابحكمالنطقوالمقال >>[1].

هذههيأزمةالشكالخطيرةالتيمربهاالغزالي وكانفيهاالغزالي لايؤمنبشيءأصلاً،فلميصبحلهدليلولامدلولإلاأنذلكلميدمطويلاًوجاءترحمةاللهفانتشلتهمنهذهالأزمة.

حيثيقولكتابه "المنقذ من الضلال":<<وعادتالنفسإلىالصحةوالاعتدال(أيبعدالشهرين)ورجعتالضروريةالعقلية مقبولةموثوقاًبهاعلىأمنويقين ،ولميكنذلكبنظمدليلولاترتيبكلام،بلبنورقذفهاللهتعالى فيالصدر،وذلكالنورهومفتاحأكثرالمعارف ،فمنظنأنالكشفموقوفعلىالأدلة ،فقد ضيقرحمةاللهالواسعة>>[2].

ومنهنايمكنأننرىأنالغزاليا عتقدأنالمعرفةالحقةهيتلكالتييقذفبهااللهفيقلبالمؤمن،فيفيضعلماًومعرفةمنحيثلاعينر أتولاأذنسمعتولاخطرعلىقلبشر،وهذامايمكنتسميتهبالمعرفةالحدسيةأوالمعرفةالنورانيةفهينورمناللهينيرقلبالمؤ من، وهكذانجدالغزالي قدخرجمندائرةالشكويرضىبالضرورةالعقليةميزاناً.

ويمكن اجمالا تلخيص أسباب الشك عند الغزالي فيما يلي:

<u>الأولذاتي</u> :وهومايتميزبهالغزاليمنذكاءومميزاتعقلية ،تتجاوزالمعرفةالتقليديةالموروثة ،ولذلكسعىالغزاليإلىمعرفةالحقوالفطرةالصافيةالتييولدعليهاالصبي ،قبلأنتتدخلعواملتقليدالوالدينوالمعلمينلتغييرها .

<u>الثانيموضوعي</u> :وهوتأسيسللعلماالموضوعييمصطلحناالحديث ،العلماالذيتتكشفيهالحقائقللنفسفلايبقىأدنىريب ،ولايتصورالخطأوالتوهم ،بحيثلايتزعزعهذااليقينفيالنفسمهماحدث،ولايرقىإليهاالشكفظهرليأنالعلماليقينيهوالذييتكشفيهالمعلومانكشافا لايبقىمعهريب،ولايقارنهإمكانالغلطوالوهم [3].

[1]- الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 54.
[2]- المصدرنفسه،والصفحة نفسها .
[3]- المصدر نفسه،ص29 .

لذا فانه من الممكن ان أهداف الشك المؤقت عند الغزاليتكمن في :

1- التخلص من ازمة الشك و ايجاد دواء شافيا لها .

2- التمسك بأهداب الحق والسعي لإدراك الحقيقة اليقينية مهما كلفه هذا من جهد بالبحث عن مبادئها الأولى وعللها البعيدة

3- التوصل إلى اليقين وليؤسس بحثا معرفيا بناءا وحقيقيا ، ومن أقواله : << لقد كان التعطش إلى درك الحقائق دأبي ، وديدني منذ أول أمري وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتي لا باختياري وحيلتي >>[1].

[1])- الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 81.

المبحثالثاني :مجالات الشك عند الغزالي

يرى الغزالي أن الشك في جميع المعارف التي يتلقاها المرء أمر ضروري لبلوغ الحقيقة ، يقول في كتاب "ميزان العمل" : <<الشكوك هي الموصلة إلى الحق فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال >>[1]، والبصر هنا دليل على القدرة على رفض المعرفة الخاطئة كيفما كان مصدرها ، لذلك يقول في "المنقذ من الضلال" : <<ومن قلد أعمى فلا خير في متابعة العميان>>[2]، ويقول في "ميزان العمل" : <<انظر ببصرك فإن كنت أعمى فما يغني عنك السراج والشمس >>[3]. والشك الذي يقصده الغزالي ليس ارتيابيا ، وإنما منهجي لأنه يؤمن بوجود حقيقة.

وما دفع الغزالي للتعاطي للشك هو كثرة المذاهب والطائف واختلافاتها وادعاءها جميعا بامتلاك الحقيقة. يقول في "المنقذ من الضلال " : <<... أتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق وباطل>>[4] .

لذا يمكن الاستنتاج بان أهم مجالات الشك عند الغزالي تتجلى في ثلاث مجالات هي الحسيات . العقليات . الحياة الشعورية

اولا : الحسيات

اهتماالغزالي بمعرفةحقائقالأشياءدفعهإلىالشكفيالحسيات،وفحصهاالمعرفةمدىيقينها،فطالماصدقالغزالي المعارفالتيتأتيعنطريقالحس،وبعدتأملهالعميقتبددتثقتهبها،واكتشفأنالحواستخدعناوأنهاغيريقينية،ومردذلكأنا لغزاليلماشاهدخداعالبصرالذييجعلنانرىالأشياءعكسحقيقتها،فنحنمثلانرىالكوكبصغيرا كالدينارفيحينتثبتالأدلةالهندسيةأنهأكبرمنالأرض،وهذامايذكرهفيالمنقذمنالضلالفيقول : <<وننظرإلىالكوكبفنراهصغيرافيمقداردينار،ثمالأدلةالهندسيةتدلعلىأنهأكبرمنالأرضفيالمقدار >>[5]،فلماات ضحللغزالي خداعالحواسوأنهالاتقدملنامعارفيقينيةراحيبحثعنإمكانيةالوصولإلىالحقيقةضمننظامالعقل.

[1])- الغزالي ، ميزان العمل ، ص409 .
[2])- الغزالي ، المنقذمنالضلال ، ص77.
[3])-الغزالي ، ميزان العمل ، ص 228 .
[4])- الغزالي ، المنقذمنالضلال ، ص64 .
[5])- المصدر نفسه،ص 83 .

وقدتحدثالغزاليفيكتابه

"معيارالعلم"عنخداعالحواس،وأتيبأمثلةعنذلكوعرضهابالتفصيلفيالمنقذ،وفيهلميقتصرعلىذكرأمثلةالخداعفيال معرفةالإنسانيةعلىالإطلاق

وقالبوجودحاكمحسيوحاكموهميوحاكمعقلي، وأنالمصيبمنهؤلاءجميعياهوالحاكم

العقلي[1]،وهذابعداكتشافهخيانةهذينالحاكمينالحسيوالوهمي.

ويقررالغزالي

في"المنقذمنالضلال"،أنالمعارفالحسيةجميعهاغيريقينية،ولذلكفهيلاتمثلعلماحقيقياويقولعلىذلك :

<<منأينالثقةبالمحسوساتوأقواهاحاسةالبصر،وهيتنظرإلىالظلفتارةواقفاغيرمتحركوتحكمبنفيالحركة،ثمبالتجر بةوالمشاهدةبعدساعةتعرفأنهمتحرك،وأنهلميتحركدفعةبغتةبلعلىالتدرجذرةذرة>>[2]

لمارأىالغزالي ماتنطويعليهالمعارفالحسيةمنخداعوشكوكفقررفضها،ثمراح يبحثعنالحقيقةفيالمجموعةالثانية (العقلياتالأولية) ويفحصمدىيقينها.

ثانيا :العقليات

بعدأنفقدالغزالي ثقتهبالمحسوساتلجأإليالعقلياتوحاولالتأكدمنصدقأحكامها وانتهىبهطولالتشككإلىنفيهذاالاعتقادبعدأنا عترضتهشبهاتهدمتهذاليقين بأولياتالعقل،فيقينالمبادئالعقليةيبدوافيبادئالأمرغيرقابللشك،غيرأنالغزالي وضعالعقلكلهموضعتشكك،وهكذاانتقلالغزاليمنالمعارفالحسيةلفحصمدىيقين المعارفالعقليةالأوليةومدىشرعيتهاواختيارها،ويصور الغزاليذلكقائلا:

<<فقالتالمحسوساتبمتؤمنأنتكونثقتكبالعقلياتكثقتكبالمحسوسات،وقدكنتواثقابيفجاءحاكمالعقلفكذبني،ولولاح اكمالعقللكنتستمرعليتصديقي>>[3].

ويتضحمنهذاالقولأن الغزالي كانيصدقالمعارفالحسيةلولاتدخلالعقلياتالتيوضعهاموضعالتشكك،وذلكبمساعدةتأملاتخارجيةأوحتىبوجودحا كمأخرإذاتجلىكذبالعقلفيحكمه ،ويعبرالغزاليعنذلكبقوله:<<أنوراءادراكالعقلحاكماآخريكذبالعقلفيحكمه ،كماكذبحاكمالعقلالحواسفيحكمها،فعدمتجليذلكالإدراكلايدلعلىاستحالته ،ومن

---

[1])- أبوحامدالغزالي ، معيارالعلمفيالمنطق،دارالكتبالعلمية ، بيروتلبنان ، د ط ، 1990 ،ص84 .

[2])- الغزالي،المنقذمنالضلال ،ص84 .

[3])- المصدر نفسه،ص86.

خلالهذهالنظرةالعميقة،يبدوأنالشكقداتسعنطاقهعنطريقهذهالأفكارإلىمدليستلهنهاية>>[1].

ويبدوأن رفضه المحسوسات لم يلبث أن أفضى به إلى الظن في العقليات التي شك فيها بدورها، لما قد تتعرض له من تفنيد، إذ قال في كتابه "المنقذ من الضلال":<< لعل وراء إدراك العقل حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه،كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه>>[2].

و إذا كان الشك عند الغزالي سبيلا للوصول إلى حقيقة الأمور، فقد كان طبيعيا (وهو يشك في العقل كما يشك في الحس) ألا يجد يقينه فيه، أي في العقل و لكنه وجده في شيء آخر أتاحت له أن يخرج من معاناة الشك و الإضطراب، حيث عبر عن ذلك بقوله:<< ولم يكن ذلك بنظم دليل و ترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر،وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف>>[3]، وهو الذي جعله يضع العقل في مكانه الحق ، فإذا كان حكم العقل صحيحا في العلوم المنطقية و الرياضية و في كل مجالات المعرفة التي تعتمد التجربة ، فإنه بالنسبة للآلهيات لا يكون فيها إلا على مقدور الإمكان.

بعدهذهالاضطراباتو الشكوك،يشيرلناالغزالي أنالنفسعادتإليالصحةوالاعتدال، أيبعدمرضداممدةشهرينورجعتالضروریاتالعقليةمقبولةموثوقابهاعلىأمنويقينولميكندلكنظمدليلولاترتيبكلام ،بلبنورقذفهاللهتعالىفيالصدر ،وذلكالنورهومفتاحأكثرالمعارفاليقينيةوذلكبقراءتهالنقديةلكتبالمتكلمينوالفلاسفة والشيعةالأماميةوالصوفية.

فمنخلالهذهالقراءة النقديةيحاولالغزالي البحثعنالحقيقةالتيتمكنهمنالوصولإليالييقينالقلبي،وبعد مرورهبهذهالمراحلذهبللتصوفحيثتبناهكعقيدة ،فكانعليهممارسةعباداتالتصوفلكي يصلإليالييقينالصوفي ،فهناوجدنفسهتحتصراعبينماهودنيويكبقائهفيالتدريس ببغداد ،وبينماهودينيمتعلقبالتصوفكممارسةلعباداتالتصوف ،والابتعادعنحياة الدنيا .

[1]- الغزالي ، المنقد من الضلال ،ص (87-88).
[2]- المصدر نفسه ، ص9 .
[3]- المصدر نفسه ، ص 11 .

فاشتدتعليهاالأزمةوبطلتمعهقوةالهضمو مرارةالطعاموالشراب ،حتىأناالأطباء فقدواالأملمنعلاجه،وبعدهذهالأزمةالشديدةخرجمنبغدادإلىالشام ،ثمأدىفريضةالحج،وعادإلىوطنهوتفرغللصوفيةوممارسةعباداتها ونسكها ،فاستمر وواظبعلىذلكإحدىعشرسنة488–499 (هـ) ، وفيهاخرجمنيسابورداعياللتصوفوناشراالعلمالصوفي[1]،فطريق التصوفالذيسلكهاالغزالي كسبيلللوصولإلىالحقيقة،هوطريقالمعرفةالذوقيةعنطريقالقلب.

وقد دلت هذه المعاناة على ان الشك الذي اجتازه الغزالي في مراحل مختلفة منه ومتعددة، كان شكا منهجيا توسل به للوصول إلى اليقين.

ثالثا :الشك فى الحياة الشعوريـة

فقد امتد شكه من الحواس إلى العقل إلى الحياة الشعورية بقوله : من يدرى أن حياتنا كلها قد تكون مجرد وهم وخيال ، نحن نحلم كثيراً ونعتقد أن ما نراه فى الحلم حقيقة واقعة ثم نستيقظ فنعلم أنه كان وهماً، فقد افترض أن حياتنا كلها حلم طويل لم نستيقظ منه بعد بقوله:<< أما تراك تعتقد فى النوم أموراً وتتخيل أحوالاً تعتقد أن لها ثباتاً واستقراراً ولا تشك فى تلك الحالة ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك أصل وطائل >>[2].

فهنا يحاول الغزالي اثبات طور ما بعد العقل بواسطة ادعاء النوم ، الذي يبين عدم يقينبة الوجود. ويعرف الانسان الوجود ويحكم عليه من خلال الحواس والعقل، وهو لا يشك بهذه المعرفة ويعتبرها يقينية. بالمقابل عندما يمر الانسان بتجربة الحلم يكون واثقا بالاشياء التي يراها في حلمه بدون ان يشك بها وقت الحلم. لكن يتغير حكم الانسان عند رجوعه الى الواقع ، اذا نحن امام حالات مختلفة، وكل منها صحيحة بإطار الزمن الموجودة به وكل حالة لها الاحكام الخاصة بها.

وهنا يتساءل الامام الغزالي لعل الحقيقة الظاهرة في الواقع هي حقيقة فقط بالنسبة لهذا الواقع ، لكنها ليست يقينية بالنسبة الى حالة اخرى التي نسبتها الى الواقع كنسبة الواقع الى النوم، وعندمانجرب هذه الحالة نتيقن ان الاشياء التي نكتسبها بواسطة العقل خيالات غير صحيحة.

[1])- الغزالي ، المنقذ من الضلال،ص91 .
[2])- المصدر نفسه،ص85 .

ففي حالة النوم لا يعرف الانسان انه في حالة حلم، ويتضح له ذلك فقط عند اليقظة ، كما ان الانسان لا يعرف انه يحلم في الواقع لكن يمكن ان تظهر حالة ما بعد الواقع تثبت ان الواقع كان حلما بالنسبة لها .

وهكذا ليس الواقع ضمان لليقين ، يشكل هذا الادعاء اشكالية صعبة بالنسبة الى القضايا الحسية والعقلية معا، وهو يشكك بجميع مصادر المعرفة الانسانية بحيث يجعل امكانية تحقيق اليقين غاية في الصعوبة بل مستحيلة المنال. يصل الغزالي الى حالة صعبة جدا، فهو لا يستطيع ايجاد حل للشك الذي يشمل كل الموجودات في هذا العالم، فهو شك في المستويين المعرفي والوجودي معا لأنه بحث في هل وكيف يمكننا معرفة الواقع ؟ وما هو الموجود في الواقع؟[1].

[1])- محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت ، مكتبة أنجل المصرية ، القاهرة مصر، ط 3 ،1981، ص 70 .

المبحث الثالث: منهج الغزالي في العلم والمعرفة

ولعل أهم ما ميز فترة الشك الغزالية هو عزلته الإيجابية ،التي أقحمته كلية في فضاء التأمّل ومحاولة إدراك العالم من عمق الذّات ،وتضع العزلة الإيجابية الصوفي في محورالوجودفيالعالم.

فالتّجربة الغزّالية في إطار حركتها نحو العالم من خلال تجربة الباطن الشكوكية ، أسست لمرحلة يقين ما بعد الشك ، ضمن سياق معيّن انطلق من الكينونة الباطنية محاولا الوصول إلى الكينونة الجوهرية أو الله جل جلاله ، وما بين المحطتين كانت التّجربة تتبلور من خلال إدراك عدم اعتبار الأقيسة العقلية أداة صالحة لمعرفة الحق ، بل الأداة الصالحة هي الذّوق الباطني، وبالذّوقالباطني توصّل إلى تحرير ذاته من الشك بالوصول إلى الإيمان عن طريق المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال .

وبالتالي يصبح الباطن محطة عودة إلى الذّات بما تقتضيه الحالة الوجدانية ، وهو ما أسمّيه بـ «استراتيجية العاطفة » إذ تعتبر العاطفة من مكوّنات العمق الذّاتي المرافق للوجدان والحالة النّفسية ،فتصبح هذه الاستراتيجية عودة إلى الذّات عندما تقف موقفا حاسما أمام نفسها،مسائلة إياهافتتعدداستقبالات حالة العودة هذه، وقد يتفجّر منها الموقف الصّوفي على أساس أنّ التصوّف تجربة فردية،والغزالي يكون قد توصّل من خلال هذه التّجربة، حقيقة العقل في البدن، وحقيقة الله في الوجود [1].

فهو يقول في كتابه"إحياء علوم الدين" : <<في القلب غريزة تسمّى النور الإلهي...وقد تسمّى العقل ، وقد تسمّى البصيرة الباطنية ، وقد تسمّى نور الإيمان واليقين..>>[2]، فالقول بعدم عقلانية الغزّالي في بحثه عن الحقيقة ، فيه شيء من المجافاة للحقيقة ذاتها ، فاعتماده على اليقين الباطني في الوصول إلى الحق ليس معناه التخلي عن مقاييس العقل في مناقشة القضايا التي عرضت له، حيث نجد أنّه نقد وهدم التعاليم المتناقضة للفلاسفة الأرسطيين العرب ،والنقد والهدم لا يكونانسوى بالعقل،وعلى هذا الأساس تنقل بين آراء المتكلمين والفلاسفة والباطنية والمتصوّفين وانتقد كل منهم.

ولقد اتبع الغزالي في نهجه خطوات محددة بدأت بالشك لكي تقوده لليقين ، وهي لا توجد

مجتمعة منظمة ومرتبة كما نجد ذلك عند رينيه ديكارت ،ولكنه تطرق لها في كتبه، ويمكن إيجازها

[1]-محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت ، ص 92 .
[2]- الغزالي ، احياء علوم الدين ، ص55.

كما يلي:

–الشك المنهجي في كل أفكارعصره وعدم قبول تعدد الحقائق لأن الحقيقة لا بد أن تكونواحدة

– التحرر من التقاليد باسم الفطرة الأصلية ورفض العقائد العارضة بتقليد العائلة وتلقين المعلمين لأن من عول على التقاليد هلك هلاكا مطلقا[1].

– إتباع قواعد منهجية هي:

1) البداهة واليقين :يقول في "المنقذ من الضلال": <<إن العلم اليقين هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم >>[2].

2) المراجعة والتأكد من عدم إغفال أي جانب من جوانب المسألة المعالجة: يقول في كتابه "محكالنظر": <<أن يتيقن بأن يقينه لا يمكن أن يكون فيه سهو ولا التباس ولا يجوز الغلط لا في تيقنه بالقضية ولا في تيقنه الثاني بصحة يقينه >>[3].

3)اجتناب التسرع واتخاذ الحكم :يقول في معيار العلم:<<وأكثر الغلط يكون في المبادرة إلى تسليم مقدمات البرهان على أنها أولية،ولا تكون أولية بل ربما تكون محمودة مشهورة أووهمية>>[4].

4) عدم التناقض :يقول في معيار العلم : <<فالتناقض في البراهين الجامعة للشروط التي ذكرناها محال...>>[5].

5) الثقة في الحكم : فما هو الحل الذي قدمه الغزالي للخروج من الشك وبلوغ اليقين ؟

يقفز الغزالي فجأة إلى خارج العقل ليجد الحل في "النور"، نور يأتي من الله،من خارج الحواس والعقل معا ، يقول الغزالي في "المنقذ من الضلال": <<وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف>>[6] ، على انه

[1])- أبوحامدالغزالي ، معراج السالكين ، مطبعة السعادة، مصر ،ج 3، د ط ، 1924، ص 173.
[2])- الغزالي ، المنقذ من الضلال،ص91 .
[3])- أبوحامدالغزالي ، محك النظر ، الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي ، الأردن ، د ط ، د ت ، ص 55 .
[4])- أبوحامدالغزالي ، معيار العلم ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف ، مصر ، دط ، 1961م ، ص 247.
[5])- المصدرنفسه ،الصفحةنفسها .
[6])- الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 74 .

يمكن ان يتحدد هذا في :

1- المجاهدة الصوفية وتوهج النور الإلهي فى القلب :عندما عانى الغزالي من الشك سارع إلى الاعتكاف والزهد والتقشف والتصوف مما أدى إلى سمو أخلاقه وكشف الحجب عنه، وبدأ يدرك بالنور الالهى كل الحقائق (نور اليقين) ، بقوله:<< لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله فى صدري هو مفتاح كل المعارف >>.

2- الحدس القلبي للحقائق اليقينية : فحسب تصوره قد ساعد النور الإلهي والحدس القلبي على إدراك اليقين والحقائق التي تعلو فوق مستوى البشر، بعد أن عجزت الحواس والعقول البشرية عن إدراك هذه الحقائق فلا يدركها إلا من خلع عن نفسه رداء الدنيا وجاهد بالتصوف والاعتكاف .

3- عودة الثقة واليقين فيما كان موضع شك سابق : بعد الوصول إلى اليقين بالنور الإلهي عادت الطمأنينة للقلب وشفى من مرض الشك وعادت له الثقة ،وتمكن الغزالي بالحدس القلبي والنور الإلهي من الوصول إلى اليقين بوجود الله والنفس والعالم ، لأن اليقين القلبي بوجود الله جعل الإنسان متيقناً من صحة المخلوقات ومختلف الموضوعات السابقة كيقين دائم.

وفي هذا الصدد لابد من التنويهان الإمام الغزالي جمع بين الموسوعية الفقهية والريادةالفلسفية والنزعة الصوفية الروحية ، اتسم بالذكاء وسعة الأفق وقوة الحجة وإعمال العقل وشدةالتبصر ، مع شجاعة الرأي وحضور الذهن ، كل ذلك أهّله ليكون رائدا في تلك العلوم المختلفة والفنون المتباينة ، فكان الغزالي فقيها وفيلسوفا وصوفيا و أصوليا ، يحكمه في كل تلك العلوم إطار محكم من العلم الوافر والعقل الناضج والبصيرة الواعية والفكر الراشد، استلزم ان يكون هنالك مناهج مختلفة اتبعها الغزالى في مختلف مراحله الفكرية واعتبرها موصلة للمعرفة

فنجده يتحدث عن المنهج الاستنباطى الذي يستعمل فى كل العلوم ، والمنهج الاستقرائى الذي يستعمل فى الفقه وقد يستعمل فى العلوم التجريبية ويعتبره الغزالى مناسبا للفقه ، والمنهج الذى يستعمل قياس التمثيل ويستعمل فى الفقه ويعتبره كذلك مناسبا في هذا المجال ، والمنهج التجريبى يستعمل فى العلوم التجريبية ، ومنهجالتفسير (معايير فهم النصوص) يستعمل فى الشرعيات. والمنهج السلوكى العلمى لذى يتمبالمجاهدة يؤدى إلى المعرفة الذوقية والكشفية[1]

[1])- محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت ، ص 116 .
[2])- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاءّ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ج9 ، ط 3، د ت ، ص 323.

المبحث الرابع : تـقـيـيـمونـقـد.

أولا :التقييم.

يعتبـــــر **الغزالـــــــي** نسيجوحدةفيتاريخالفلسفةالإسلامية،فقدكانصـــــاحبنهجو مدرســـــة ،انفردبهاوتميزبهابينأقرانه،فربماكانالوحيدالذيوضعنهجاكاملامتكاملا،فقدكانتفلسفتهصورةصادقةلحياتهالشخصـــــــــية ،كانمجدداومبتكرا،ولميكنمقيداومكررا،فقدكانيمثلالجوهرالروحياالصافيللإســـــــــــلام ،ونظرتهكانتنظرةدينيةصـــادقة ،ومنشهدعلىهذاأستاذه"الإمامالجويني"الذيكانيشيرإلىالنبوغ**الغزالي**وفكرهوفلسفتهوهورغمصغرسنه، فقدوصفهبأنهبحرمغدقفيبعضالروايات ،فعندماألف**الغزالـي**كتاب " المنخولفيعلمالأصول " وهولميزلطالباللعلمفينيســـــابوروتلميذاعندالجويني* ،فقاللهالإمامالجوينيفيصـــــوتلايخلومنعتابوغيرة: <<لقددفنتنيوأناحي،هلاصبرتحتتأموت>>[1].

و لا يُنكر المُنْصِف ما بلغه أبو حامد الغزالي من الذكاء المتوقد والعبقرية النادرة حتى قال عنه الذهبي: << الغزالي الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف و الذكاء المفرط تَفَقَّه ببلده أولاً ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين ... >>[2].

ومنالذينذونواسيرة**الغزالـي**فيفترةمبكرةجداصديقهوتلميذهأبوابكرإبنالعربي* ، وهوصاحبالمقولةالشهيرة " شـــــيخناأبوحامد**الغزالـــــــي** دخلفيبطنالفلاســـــفةثمأرادأنيخرجمنهافماقدر " ونجدفيكتابالفواصموالعواصممعلوماتقيمةعن**الغزالي** وتطورهالفكريوالروحي[3]1

علـى انـه يمكـن الاعتقـاد بـأن الغزالـي فيلسـوف المـنهج وصـوفي المـنهج فكـان يضـع منـاهج لنفسـه ولغيره كما هو واضح في مؤلفاته وجعل كلمة "منهاج" عنواناً لبعض كتبه مثل: "منهاج العابدين" و "منهاج العارفين"[2]،وتتركز الرؤية المنهجية في مشروع الغزالي في محاولته إعادة بناء فكر سليم

[1])- زكرياءبشيرإمام،الفلسفةالنورانيةعندالغزالي ، مكتبةالفلاحللنشروالتوزيع ، الكويت، د ط ، 1989 ،ص266.
[2])- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاءّ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ج9 ، ط 3، د ت ، ص 323.
* أبوبكرإبنالعربي : ولد في إشبيلية سنة 468 هـ، وولي قضاء إشبيلية، ومات في فاس في ربيع الآخر سنة 543 هـ
[3])- زكرياءبشيرإمام،الفلسفةالنورانيةعندالغزالي ،ص266.
[2])- محمد عقبل المهدلي ،المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت للوصول الى الحقيقة ، دار الحديث،جازان السعودية ، د ط ،1996، ص5 .

، وحب اكتشاف الحقيقة، حيث أمتعنا الغزالي بالحديث عن رحلته في البحث عن الحقيقة في كتابه الشهير "المنقذ من الضلال" ،كما تشكل مشروعه حول هوية إسلامية من خلال محاولة إحياء علوم الدين، ومحاولته الملاءمة بين العقل والنقل في مشروعه الفكري، مما جعله يستقل بمنهج خاص.

كما يعد الغزالي أول من أسلم النظرية المنطقية، ونظرية المعرفة كما يتضح في مؤلفاته: "القسطاس المستقيم"، "معيار العلم"، "محك النظر"، "المنقذ من الضلال".

ولم يقتصر الغزالي على محاربة اعداء السنة والدولة من فلاسفة وتعليمية ، ولكنه تعدى هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى إيجابية إنشائية. فقد جدد طريقة استعمال المنطق بتحديده ما يشترط فيه لإفادة العلم اليقيني ، وادرجها في علم الكلام [1] .

أحس الغزالي منذ صغره بأنه صاحب أمانة و رسالة، وإن مهمته حسم ذلك الصراع الذي ظهر في عصره بين التيارات كافة، ولهذا كان موقفه نقدياً لهذه الفرق والمذاهب والمدارس الفكرية .سعة الأفق والإيمان العميق بحرية الرأي والفكر فيمثل الفيلسوف الحق، والإمام المجتهد ،فقد خاضحوارا هادئا دونما حذف أو إنكار لجهود كل من كان يحاورهم ، بل أنه قدم حججهم بصورة أفضل مما قدمها أصحابها ملتزماً بأصول الجدل، وقواعد البرهان[2] .

إن البناء الغزالي الفلسفي والفكري قائم على أسلوب نقدي تأسيسي متماسك ، ومسلك الغزالي في كتاب "التهافت" قائم في معظمه على التشكيك والنقد، ولكن التشكيك والنقد عمل علمي له قيمته. والنقد عند الغزالي أخذ وجهين : وجه مسلّط على معارف الفلاسفة الأوائل ، ووجه ثان مسلّط على الذات ، حيث أدرك ضرورة الاعتكاف وتطهير النفس من كل قبح ممكن.

وإذا كان النقد داخلاً هكذا[3] في نطاق الفلسفة و الفكر، ورغم أن "كانط"*(Immanuel Kant)مثلا بين تهافت العقل وتناقضه إلا أن أحداً لم يخرجه من زمرة الفلاسفة ولم يقل بأنه ليس فيلسوفاً ، فرغم تحطيمه للعقل إلا أنه حطمه بالعقل ، وهو قد وقف هذا الموقف النقدي من العقل لكي

[1])- يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، مكتبة حسن العصرية ، بيروت لبنان ، ط 1، 2006 ، ص 37 .

[2])- المرجع نفسه ، ص 256.

[3])- نور الدين السافي ، نقد العقل ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس تونس ، ط 1، 2003، ص99 .

*إيمانويل كانط (Immanuel Kant) : هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724 - 1804). عاش كل حياته فيمدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية.

يوضح حدوده وقدراته، لأن كانط رفض العقل وبين تهافته في بعض المجالات ، لكنه وثق فيه كل الثقة في المجالات الأخرى. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الفيلسوف الألماني "كانط" ومن على شاكلته سواء كان قبله وبعده، فلم لا يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الإمام الغزالي الذي كان في مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة، باحثاً عن الحقيقة اليقينية، وكان فيلسوفاً نقدياً من الطراز الأول، وهو لم يسعى لوأد العقل ، بل أراد فحسب أن يعيد العقل إلى رشده وأن يذكره بحدوده وبوضعه في هذا الكون [1].

ثانيا :النقد.

انه لمن الموضوعية القول بأنه رغمعظمةتفكيركلفيلسوفوثرائهالمعرفيالذيشهدعليهمجموعةالكتبوالمؤلفاتالتيألفها،إلاأنهلايخلومنالنقائضوا لأخطاءتكونمحلنقدمنطرفغيرهمنالفلاسفةوالباحثين،

وهكذاكانتحياةالغزاليملئةبالاضطراباتالنفسيةوالروحيةفقدمربأزمةنفسيةوفكريةشديدةجعلتالعديدمنالمفكرينو الباحثينيقفونعندماالهذانجدالكثيرمنالانتقاداتالتيوجهتللإمامالغزالي.

والناقدون للغزالي ليسوا فئة واحدة، بل هم مدارس شتى وطرائق قدداً، فمنهم من ينقده لأشعريته ومذهبه في تأويل الصفات ونحوها، وما بقي فيه من رواسب التأثر بالفلسفة ومنهم من ينقده لصوفيته، ومنهجه في نصر التصوف وتبنيه ومنهم من ينتقده لدعوته إلى إهمال الحياة المادية ، وتقدم المجتمع استغراقاً في طلب السعادة الشخصية ، وهو أثر من آثار تصوفه ومنهم من ينقده ، لاستفادته من أفكار الآخرين دون أن ينسبها إليهم، ومنهم من ينقده لسلبيته أمام الأحداث الكبار المهددة لحياة الأمة من حوله [2].

ولعلمنأهمهذهالانتقاداتالتيوجهتإليهانتقادالكثيرمنالمفكرينلكتابالغزاليإحياءعلومالدين،فلقدتعرضهذاالكتابلأ ولظهورهلعاصفةمنالنقدوالتجريح،ممااضطرالغزالي نفسهأنيؤلفكتابافيالدفاععن (الإحياء) .

[1])- فيصل بدير عون ، الفلسفة الإسلامية في المشرق ، مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، د ط ،1982 م ، ص (414-413) .

[2])- يوسف القرضاوي ،الغزالي بين مادحيه وناقديه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2000م ، ص 19.

ولعلمنأهمالذينحملوالواءالمعارضةلأفكارالغزالي ولمدرستهالإحياءبوجهالخاص ،الإمامابنتيمية*،وتلميذهابن القيمالمازري**وابنالجوري*** ومنجملةانتقاداتهملكتابهالإحياءالمتمثلةفي : استشهادالغزاليفيكتابهالإحياءبالأحاديثالضعيفةوالموضوعةوكذلكوجوهبعضالأحكامالتيبينتعلىهذهالأحاد يثوذكرالكثيرمنالقصصالتيتحملالمبالغاتفيالسلوكالصوفي،هذاكلهمايعتقدهمعارضونكتابالإحياءللإمامالغزا لي.

إضافةإلىهذانجدنقدابنرشد**** الذيانطلقمننقطةأنالغزالي ماكانمتمكنامنعلومالفلسفةوأنهلميخصصلدراستهاوقتايكفيللتعمقفيمراميهاومصلحاتهاوحدودهاوأنهقدوقعفيال تعميمالخاطئفيالردعلىالفلاسفةعندمااعتمدعلى آراءابنسيناوحده[1]

ونجدأيضامنالفلاسفةالذينانتقدواالإمامالغزالي الفيلسوفالأندلسيابنطفيل***** ،فلقدوصفه بالتناقض والتضارب في اقواله وآرائه[2].

* ابنتيمية : أحمدبنعبدالحليمبنعبدالسلامابنتيميةيلقبشيخالإسلام (661- 728 هـ)

** ابن القيمالمازري: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي المشهور باسم" ابن قيّم الجوزية (691- 751 هـ) سوريا

*** ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم،منبغداد (508 هـ -597 هـ)

**** أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد(520 هـ - 595 هـ) يسميه الأوروبيون Averroes واشتهر باسم ابن رشد الحفيد.

[1])- زكرياءبشيرإمام،تاريخالفلسفةالإسلامية،الدارالسودانيةللكتب ،السودانالخرطوم ، ط1 ، 1418 هـ – 1998 م ، ص - 275 270.

***** بو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي (1100 -1185م) ، فيلسوف و عالم وطبيب عربي مسلم ، وهو من أشهر المفكرين العرب الذين خلفوا في عدة ميادين منها: الفلسفة و الأدب و الرياضيات و الفلك و الطب

[2])- زكرياءبشيرإمام، تاريخالفلسفةالإسلامية، ص 275

ملخص الفصل

منخلالالدراسةالتحليلية لهذا الفصل ،توصلنا البطبيعةالشكعندأبيحامد الغزالي ، والى ادراكأهميةالشكفيفكرالغزالي ،وعلىمختلف الخطواتالمنهجيةالتيكانتأساسالفلسفته،واستطعناأننستخلصمجموعةمنالنقاط و هي:

– طبيعةالشكعندالغزاليلهاأبعادنفسيةوذلكمنخلالالأزمةالشكيةالنفسية الروحية , التيأمرضتهولهاأبعادمعرفيةوذلكبإتخاذالشكالمنهجيكوسيلةللوصولإلى اليقين.

–اعتمادالغزالي علىالمنهجالتحليليفينقدهللتياراتالفكريةفكانيستعرضالرأيأولا،ثميقومبنقدهمبيناموطنضعفه .

– عندمااستعرضالغزاليالمناهجالعقليةالسائدةفيعصرهونقدها،أرادبذلكأن يعطيللعقلحريةأكبرفيالبحثعناليقين،وإبعادالعقلقدرالإمكانعنالتقليد.

– مرورالغزالي بأزمةشكيةشديدةحاولمنخلالهاأنيصلإلىالمعرفةالحقةعنطريق شكهالمنهجيالذياتخذهكوسيلةللوصولإلىاليقين.

– اقتراحالغزاليفينهايةشكهالطريقالصوفيمنهجاللوصولإلىاليقين.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : طبيعة الشك عند رينيه ديكارت

تمهيد

المبحث الاول : رحلة ديكارت في بحثه عن المعرفة

المبحث الثاني : الشكالمنهجيوالكوجيتوالديكارتي

المبحث الثالث: المنهج الديكارتي

المبحث الرابع:التقييم ونقد

خلاصة الفصل

انازدهار واعادة احياء و تنشيط حركية الدراسات والالحاث الفلسفية إلى أوربا،مععصرالنهضةفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، اتاح لظهورملامح مذهب الشك المنهجي ولكن لم يبرز هذا الشك بوصفه نظريةً وأسلوباً ومنهجا علمياً مقنّناً للبناء المعرفي والفلسفي إلا على يد الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ، بما برز و ظهر في اسلوب بحثه عن المعرفة والحقيقة ، من خلال كتبه ودراساته ومناقشاته ، لذا نتساءل : ما طبيعة الشك عند ديكارت ؟ وما هو اسلوبه ومنهجه في البحث عن الحقيقة والمعرفة ؟

المبحث الاول : رحلة ديكارت في بحثه عن المعرفة

يمكن القول ان هذهالمرحلة التي خاضها ديكارت ،مرحلةمهمةفيحياته ،وقد ترك رينيه ديكارتالخدمةالعسكريةبعدأنتطوعفيهالمدةسنة

،وخلبنفسهواذابنشوةعلميةغريبةتغمرهإذاستكشففيثلاثةأحلامتتابعتعليهفيليلةواحدة،

اعتقدأنهاآتيةمنعلىأسسعلمعجيب هذاالعلميدلناعلىشدةاستغراقديكارتفيتفكيرهو كانتالأحلامكمايلي:

الحلمالأول :حلمأنزوبعةكبيرةأمسكتبه،و راحتتدفعهحتىقلبتجسمهرأساًعلىعقب ،الأمرالذيألجأهإلىمدرستهليحمينفسهمنالعاصفةحيثالتقى هناك بصديققديمحاولأنيعطيهبطيخةمستوردةمنبلدأجنبيوعندماستيقظأمضىساعتينكاملتينفيرعبحيثاعتقدأنهذهالر ؤياالغريبةقدرسختفيذهنهبفعلشيطانخبيث.

الحلمالثاني:لميكنحلمه

الثانييمختلفعنسابقه،حيثسمعقصفاًمدوياًكالرعدووجدنفسهمسجوناًفيغرفةمليئةبالناروالشرور.

الحلمالثالث :كانحلمهالثالث هادئابعضالشيء،فقدكانينظرإلىمجموعةمنالكتببجوار فراشه،حيثكان هناك موسوعةومجموعةمختارةمنالشعر ،وقدأدركأنهذهالكتبتدعوهلتكريسبقيةحياتهللعلوموالفلسفةأكثرمنالجندية[1] .

وبعد ان عدلمنالمهمةالعسكريَّةسنة1619 م،راح ديكارتيطوف أنحاء أوروباتسعسنينحتىحلبباريسسنة1628

م،تسعسنينلمينقطعفيأثنائهاعنمعالجةالمسائلالطبيعيةبالطريقةالرياضية

[1])- ديفروبنسن/جوددجروفز ،أقدم لك ديكارت،تحقيق إمامعبدالفتاحإمام، الهيئة العامةللشؤونالمطابعالأميرية،القاهرة ، د ط ، 2001 م ، ص(13-14)

،أيبتجريدهامنالمبادئالفلسفيةالتيكانتلاصقةبهاعندأرسطو ،ولهذايرجعسببباكتشافهللهندسةالتحليليةأيتطبيقالجبرعلىالهندسة.

لم ترق لهالحياةفيباريس،وأرادأنيتفرغلوضعفلسفتهفقصدإلىهولنداوفيهادونرسالة قصيرةفيوجوداللهو وجودالنفس ،وشرعفيتحريركتابه" العالم "واذبالمجمعالمقدسيدين جاليليولقولهبدوران الأرض ،وكانديكارتقدقال هوالآخربدورانالأرضفعدلعنمشروعهوطوىكتابهلأنهكافشديدالحرصعلىهدوئهوعلىاحتراماالكنيسة. فلافلاشأكبرمدرسةتعلمفيهاديكارتالآدابوالعلوم،وقددرسفيهامعتقداأنهيستطيعبواسطتهاأنيكتشفمعرفةواضحة ويقينية،إلا أنهلميكدينهيدراستهحتىتبينلهأنهذهالعلومملیئةبالأخطاءوالغموضمما جعلهيشكفيصحتها،حيثلاحظفيالقصصأنهاتجعلناننتخيلإمكانماليس ممكنامنالحوادث،كماأنالشعروالبلاغةاللذينكانديكارتمولعابهماوجدأنهما أقربإلىأن يكوناموهبةمنمواهبالنفسلاثمرةمنثمارالدراسة،أما بالنسبة إلىالرياضياتفرغمبدا هتهاويقينحججها إلاأنهالمتكنتستعملإلافي الصناعات الميكانيكية،وتعليمهاكانموجهانحوتطبيقاتهاالعملیةفيالجغرافيا،وفيتخطيطالمياه ...،كماتميزتالفلسفة بتضاربفيالآراء،إذليسهناكأمرلاجدالفيهوبالتاليغيرمشكوكفيه،وعليهفإنالفلسفةلاتقدمإلاشبهالحقيقة،كماأنهامبنية علىالوصف،وهذاالأخيرلايفيدالحقيقةوإنماالإخبارفقط[1].

ولهذاولماكانماليقينهوالضالةالتي نشدهارينيه ديكارت،والهدفالذيكان يسعىإليه،فقدقررالبحثعنأساسمتينلكلتلكالعلوم،وقد بدأديكارتشكهورفضهلكلتقليدسواءالفلسفةالكلاسيكيةأوالفلسفةالسكولائية(المدرسية)،محاولاإحداثقطيعةمعكل لتقليدونبذ كلماهوقديملبناءصرحجديدللمعرفةعنطريقالشك [2].

لذا فقدبحثديكارتعنمبدأ عقليلايكونموضع شكليقيمعليهفلسفتهوعلمه ،وقدمضىفيبحثهعنذلكالمبدأالعقلييكلحزمو إصرارحيثيقول:<<سأمضيفيهذاالطريققدماًحتىأهتديإلىشيءيقيني،فإنلميتيسرليذلكلبثتعلىحاليعلىالأقلحتىأعلم علىاليقينأنهليسفيالعالمشيءيقيني،فإنَأرخميدسلميكنيطلبإلانقطةثابتةغيرمتحركة،لكييبنقلالكرةالأرضيةمنمكانهاإلىمكانآخر، وكذلكأنا يحقليأنأعلقأكبر

[1]) - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ج 2 ، د ط ، 1979 ، ص 84 .
[2]) - محمد حسن مهدي بخيت ، ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت ، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1 ، 2012 ، ص26 .

الآما لإنأسعدنيالحظفوجدتشيئاًيقينياًلاشكفيه>>[1]،وهذاالموقفالذياتخذهديكارتللوصولإلىالحقيقةلايمكنالشكفيهاجعلهيفترضأنجميعالأشياءالتييراهاباطلة .

وليسالشكمقصوداًهنالذاته،بلالامتحانواختبار معارفناوقوانالعارفة [2]،وهوخطوةالتأملالفلسفيالأولىالأساسية ،فإنأدىبنإلىالمبادئالأولىكانالسبيلإلىاليقينالفلسفي ،والشكذاتهتأملقائمفيالزمن ،لهبالضرورةمراحلتنظيممنالأبسطإلىالأصعب ،تؤديفينهايتهإلىنتيجةقدتكونسلبيةنقفعندها ،وقدتكونإيجابيةتفتحأمامناالطريقإلىاليقينالفلسفيالكامل ،وقدذهبكثير من الباحثينإلىأنالشكالديكارتيليسكلياًمثلشكالشكاك ، وذلك لسببين: – أنالفيلسوفيقصدإلىتبريراليقينبعدالمضيفيالشكإلىأقصىحدوده .

–أنهيستثنىبالفعلالعقائدالدينيةوالقواعدالأخلاقيةوالتقاليدالاجتماعية [3].

ومايؤكدعلىأنديكارتقداستثنىمجالالحياةالعمليةمنالشكوقصرهعلىمسائلالنظر ،هوماجاءعلىلسانهفيالقسمالثالثمنمقالعنالمنهجالذييتعلقبالأخلاق

،حينيقول:<<وكانتحكمتيالثانيةأنأكونأكثرماأستطيعجزماًوتصحيحاًفيأعمالي ،وألايكوناستمساكيبأشدالآراءعرضةللشك .إذاماأصبحتعزيمتيعليهاأقلثباتاًمالوكانتمنأشدالآراءوضوحا >>[4]

هكذايتبينلناأنديكارتلميكنفيلسوفاًلاأدريا*بلأنمقصدهالأسمىمنشكههذاهوالبحثعنقاعدةأمينةيقيمعليهاصرحالعلم ،أيإيجادمبدأًضرورياًلايقبلالشك ،وفيذلكيقول<< :وماكنتفيذلك – الشك – مقلداًاللاأدريةالذينلايشكونإلالكييشكواويتكلفونأنيظلوادائماًحيارى ،فإنيعلىعكسذلك ،كانكلمقصديلايرميإلإلىاليقين،والىأدعالأرضالرخوةوالرمل ،لكيأجدالصخروالصلصال>>[5]

لذايمكنالقولإنالشكالذيقصدهديكارتأنهليسنهايةحركةالعقلالفلسفي،بلليسبدايتهاولاالشروعفيها ،إنهالبحثعننقطةالبداية ،النقطةالتييصحللفيلسوفأنيبدأ

[1]) -رينيهديكارت ،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى،تركمالالحاج ،منشوراتدويرات ، بيروت ،ط 4، 1988م ،ص(93-94.)
[2]) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 66.
[3]) - المرجع نفسه ، ص 68.
[4]) - رينيهديكارت،مقالعنالمنهج،تر: محمودمحمدالخضيري،دارالكتابالعربيللطباعةوالنشر،القاهرة،ط2 ،1968 ، ص 82 .
* نزعة التوقف عن إصدار حكم ما
[5]) - ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص 86

عندها،فالشكهوالمرحلةالأولى ،هوالتأملالأولفيالفلسفة ،هوطريقالاكتشافالفلسفي،إنهيهديناإلىنقطةالبداية ،إلىمبدأالفلسفةوأساسهاالأول[1]،وهذاماوجدهديكارت.

وهذاهواليقينالأولالذيوصل إليهديكارتبعدرحلةالشك ،وهواليقينالذيأطلقعليهيقينالكوجيتو ومعناه أناأفكرانا موجود إذن ،وهذهالقضيةأوالعبارةإنماتنبثقدونمقدماتودونتمهيدات إذنأناموجود،بمعنىأنالذييفكرموجود لاشكفيذلك ،فالإنسانفيحالةالتفكيريكونفيحالةالوجود ،ومنثميصبحموجوداً لأنهيفكر ،إنهالحظةاكتشافالإنسانلوجوده ،لحظةالتفكير ،لحظةحدسيةسريعةلاسوابقلها،ولامقدمات ،وتعد هذهالقضيةهيلبنظريةديكارتفيالمعرفة ،وهي أهممافيفلسفته ،ولذلكفقداتخذهاديكارتمبدأًأولللفلسفته.

وهنا نشير الى احتمالية أهمالمصادرالتيربماستقى منهاديكارتفيبحثه عن المعرفة منها:

الفكراليوناني :لقدتأثّرديكارتبمجموعةمنالفلاسفةاليونان،فأخذعنهمفكرةالشكمنهم:

–أكسينوفان* ،هيروقليطس** ،بارمنيدس*** ، الايليون**** ، السفسطائيون*****[2].

سقراط :أخذعنهديكارتأنّالعقلوحدههوالذييسمحلنابالمعرفةالواضحة،ولايمكننأبدا الوثوقبحواسنا.

أفلاطون :أخذعنهديكارتأنّالعقليجبإبعادهعنالحواسإذاكنانريدبلوغالمعرفةالحقيقية

.وأنّالعقلوحدههوالذييقودناللمعرفة، كماأخذعنهأيضاأنّماندركهبعقلناهوأكثرواقعيةوحقيقةممانركهبحواسنا ،فقدأدركديكارتأنّ .هذهالأنا المفكرةهيأكثرحقيقةمنالعالمالماديالذيندركهبحواسنا[3] .

الفلسفة الوسيطية: من بينهم أوغسطينللتدليلعلىروحانيةالنفسولرفعالشك ،ويمضيمنالفكرإلىوجودالله، وأخذعنهأيضافكرةأنّهيستخدمالفكرللتدليلعلىالوجودالذاتي[4]، اضافة

لأنسلم فقد أخذعنهأنّوجودالله لازممنذاتفكرةالله،أيمنمجردتعريفه [5]

المبحث الثاني: الشكالمنهجيوالكوجيتوالديكارتي

---

[1]) - نجيبلدى،نوابغالفكرالغربيديكارت،دارالمعارف، القاهرة مصر،ط 2 ،2004 ، ص 92 .

*أكسينوفان(570ق.م -475 ق.م) (مفكريونانيعاشفيقولوفونوكانتلهآراءطريفةعنوجودالآلهةهاجمفكرة تشبيّهالله,

**هيرقليطس :عاشفيأفسوسمدينةيونانيةفيآسياالصغرى 500 ق.مكانيرىأنّوحدةالعالمتكمنفيتركيبه ،أكثر مماتكونفيمادته ، والنار أولشئعلىالتغيرفيمذهبهوالتغيركانضروريالتوحيدالدائمبينالأضداد.

***بارمينيدس (540 ق.م - 480 ق.م) هو فيلسوف يوناني ولد في القرن الخامس قبل الميلاد في إيليا

**** الإيليون :أولماأطلقعلىالفيلسوفبارمنيدسوتابعهزينون ،عاشأتباعهذاالمذهبفي إيليا.

*****السفسطائيون :الذينظهروافيالنصفالأخيرمنالقرنالخامس ،فقدنادوابنسبيةالمعرفة .فالإنسانمقياسالأشياء جميعا ،ومنأشهرهم بروتاغوراس،وجورجياسفقدكانمنطوقمذهبهيعنيأنّهلايوجدشيءعلى الإطلاقوإذاوجدفلايمكنمعرفته

[2]) - عبدالمنعمعباس، الفلسفة الحديثة ،ص124

[3])- جون كوتنفهام ، العقلانية ، تر: محمود منقذ الهاشمي ،مركز الإنماء الحضاري، دمشق سوريا ، ط1 ،1997 ، ص 50 .

[4])- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 69 .

[5]) -المرجع نفسه ،ص68

انالتفكيرالفلسفييمتازبالمنهجيةوالبعدعنالعفوية،لذلكنجدالمنهجالفلسفييمربمراحل
وخطواتمحددة،يضعهاالفيلسوفنفسه .والمناهجالفلسفيةتختلفباختلافالفلاسفةوباختلاف
مذاهبهم،وكأمثلةعلىذلكنذكر :المنهجالشكيعنديكارت،هذاالأخيرالذياعتمدهواعتبره
خطوةفيفصليةومحوريةلبناءمعارفصحيحةويقينية .
لكنشكههذالميكنهدامكمافعلالشكاكوالملاحدينفيعصره(أيالشكمنأجلالشك
)،وانمافعلوبناءفيخدمةالمعرفة،هدفهالوصولالىالدقةوالوضوحفيالمعارفوالحقائق.
فالشكالمنهجيحسب ديكارت
هوخطوةأولىيقومبهاالعقللعملعلىإعادةبناءالعلم،وهومنهجيرادمنهعرضكلالمذاهبالقائمةلتسليطمعاييرالنقدوا
لتمحيصعليها،والنظرفيكلشيءمنجديد،والمضيفيذلكإلىأبعدحدبحثاعنأسسيقينية[1]،وهوليسشكاهداماماثلماا
عتقدذلكبعضالمنتقدينالذينا عتبرواشكديكارتشكامبالغافيهكونهقررالشكفيكلشيء،فتخيلوا أنديكارتقدحولفكرهإل
ىفراغمطلق،بينماالحقيقةغيرذلك.
فشكديكارتبناء،فقدقررإفراغماكانراسخافيعقلهمنمعتقداتوعاداتوتقاليدوآراءقديمة،ثمفحصكلواحدةعلىحدة،وم
نثمترتيبها،فماكانصحيحاأبقاه،وماكانخاطئاصححه.فشكديكارتكانشكامؤقتاوليسمطلقاوشتانبينشكيقومعلىه
دمالماضيفيسبيلإصلاحمافسدمنهوإعادةالنظرفيه،وبينشكينتهجالشكفيذاتهويجعلهمذهبهومنهجهالمطلق،
كماكانيحدثفيالمرحلةالسابقةلديكارتوفيبداياتعصره،كالشكالذيأذاعهمونتني* وفلاسفةإيطاليافيالقرن16م ،
نتيجةإعادةإحياءتراثاليونانوتغييرخريطةالعالم[2]
، لهذانجدهقدوضعمختلفالأفكاروالمصادرالمعرفيةفيدائرةالشكوالريب،وهومايمكنرصدهاكالآتي:

أ)**الشكفيالحواس:**

استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنّها تخدعنا أحياناً ، ومن الفطنة ألاّ نأمن أمناً تامّاً لمن خدعنا ولم لمرَّةً ، ويرى ديكارت أن اختلاف الناس في أفكارهم واتجاهاتهم ليس إلا نتيجة خداع الحواس في كثير من الأحيان. يقول ديكارت: <<كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها قد اكتسبته من الحواس أو بواسطة الحواس،غير أني جربت هذه الحواس في بعض الأحيان فوجدتها خداعة، ومن الحكمة أن لا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة>>.

---

[1])-عثمانأمين،ديكارت،مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة مصر ،ط 6 ، 1969،ص 117

* موتني (1592-1692) هو أحد أشرافرنسا،انعزلعنالحياة العامةبمشكلاتهاالدينيةوالسياسية،وانكب علىالقراءةوالتأليف، - منمؤلفاته "محاولات " شكفيالحواسوأرجأدورالعقلوبالتالي فقد أحدثثورةفكريةفيمذهبالشك
ظلتطيلةنصفقرن،كماأمدالمشككينالملاحقينعليهبنبعفكري فياض

[2])-عبدالمنعمعباس، الفلسفة الحديثة ، ص 129 .

وفي نهاية التأمل الفلسفي الثاني ، يتناول ديكارت مثال قطعة الشمع ، التي تم استخلاصها من خلية النحل: إنها صلبة وباردة ومتينة نسبيا ، وعندما نلمسها يصدر عنها صوت ، لكننا ما إن نقربها من النار حتى تتغير تغيرا تاما : فشكلها يتغير وتتحول إلى سائل ، تسخن و لا يصدر عنها أي صوت . . . لا يتم تصور الشمع إذن إلا عبر فحص عقلي ، كما استنتج ديكارت . والحواس لا تمنحنا مطلقا إلا معطيات هاربة ، قابلة للانمحاء وغير منتظمة .كتب ديكارت قائلا : <<لا تقدم لنا الحواس أية فكرة عن الأشياء كما نصوغها نحن بواسطة العقل>>

لذلك شكديكارتفيالحواسشكاصريحاومباشرا ، و

رفضأنتكونمصدرللحقيقةوالمعرفة،وذلكمنمنطلقانهاتخدعنافيغالبيةالأحيانوتضللنافيمجالاكتسابالمعارف،لـ

ذلكمنالحكمةأنلانامنها،وأبرزمثالعنخداعها :

رؤيتناالقرصالشمسالذينراهبحواسنابقدردينارفيحينالواقعيؤكدأنهاأكثرمنالارضبأضعاف،ومنثمنجدهيقول:

<<كلماتلقيتهحتىالانعلبأنهأصدقالأموروأوثقها،تلقيتهبالحواسغيرأنيوجدتهاخادعةومنالحكمةالانطمئنالىمن خدعناولولمرةواحدة>>[1]

ب)الشكفيالمعرفةالعقلية:

بعد ما شك ديكارت في كل من الحواس ورفض كل تقليد ذهب شكه إلى العقل الذي كان محل ثقة عنده ، حيث شك في إستدلالة العقل وقدرته للوصول إلى المعرفة ، ويبرر موقفه من الشك في العقل بقوله: <<من الناس من يخطئون في التفكير حتي في ابسط أمور الهندسة>>[2] ،وما نستشفه من هذا القول أن الشك عند ديكارت وصل به إلى الشك في العقل ،فهناك من يخطئون في أمور تكون في غاية الجلاء والوضوح ، وهذا مادعى ديكارت إلى الشك في إستدلالة العقل .

فالعقل في نظر ديكارت حافل بالأخطاء ، وعلينا أن نطهره من كل الشوائب التي تلقينها منذ صغرنا ،أوعن طريق حواسنا ، أو تسرعنا في إصدار أحكام على الموضوعات فإننا نكون تصورات نعتقد على أنها يقينية لكنها في الحقيقة غير ذلك ،ولذلك وجب الشك فيها لنحرر العقل من كل قيود ، فالمعرفة اليقينية نثبت عليها ، والخاطئة نتخلص منها وشك ديكارت في العقل الذي كان يعتبره أعدل قسمة بين الناس ، هوالوسيلة للحكم على الخطأ والصواب .

[1])- رينيهديكارت :تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى ،ص14.

[2])- رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص 149.

وبعد ماعرضناه من موقف ديكارت من الشك فإنه لم يتوقف عند هذا الحد ، بل امتدى شكه إلى إفتراض وجود شيطان ماكر فهو السبب الذي أدى إلى شكه في العقل ، واللعب بأفكاره في بناء إستدلالات والإستنتاجات والإستنباط وفي هذا يقول ديكارت : << إن شيطان سيئا لايقل خبثه ومكره- عن بأسه ،كل ما استعمل كل مأوتيى من حنكة لتضليلي، وسأفرض أن ، الهواء ، والأرض ، والألوان ، والإشكال والأصوات وسائر الأشياء الخارجية التي نرى ، ليست إلا أوهاما وخيالات ، يلجأ إليها الشيطان لكي يقنعني>>[1]

ونستنتج من خلال قول هذا أن هناك شيطان ماكر* يدفعه للخطأ ، أن هذا الشيطان يمتلك قوة تجعله يضلل أفكاره ،فهو يضللنا ويخدعونا في الوصول إلى الحقيقة وأكثر من ذلك يهمنا على أننا على حق ، ونجد ديكارت يؤكد أنه لايمكن التخلص من هذا الشيطان إلى من خلال الإستنجاد بالإله يضمن له عدم الزلل. والوقوع في الأخطاء هذا الشيطان وتصدي له فهنا يعتمد ديكارت على الضمان الإلهي الذي يعتبره واضع الأفكار في العقل التي تتميز بالبداهة والوضوح.

الشك في الحياة الشعورية العامة :

بعدماشكديكارتفيالمعرفةالعقلية،توصلالىانالمعرفةالحاصلةبواسطةالأحلامهيبذاتهاعرضةللشك ،خاصةوأنمانعتقدهحقيقةفيأحلامالليالييبددهويزيلهضوءالنهار ،فذهبذلكالىالمعارفاليقظة،لكنسرعانماكشفلها العديدمنالعيوبوالنقائصً .

فالرؤيا وخداعها يدفعان ديكارت إلى الشك في الحياة بصفة عامة. ولكنه يتناول المسألة منجانب آخر، إذ تدفعه هذه المشكلة إلى التفكير في كيفية التمييز بين اليقظة والمنام.

ويجد ديكارت أنه ليست هناك علامات مؤكدة للتمييز بينهما، يؤدي به ذلك إلى التساؤل عما إذا كانت هناكمعارف عقلية صادقة سواء كان الإنسان نائما أو مستيقظا؟

ومنثمنقول :<<هكذاشككديكارت ... كذلكفيالمعرفةالمتأنيةمنعالماليقظة،وعالمالأحلام علىحدسواء ..>>[2].

د)**شكديكارتللعلومولأفكاروالمركبة**:

النسقالصحيحفيالمعرفةحسبديكارت،ينطلقمنالأفكارالبسيطةوالواضحة،لهذانجدهشككفيالعلومالتيتقومعلىالأفكارالغامضةبلانالشكوالريبهاكبير ،لذلكنجدهيقول:

[1]- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، ص27 .

* - افتراض ديكارتي للتعبير عن أقصى مراحل الشك فهو روح شرير مظل

[2] - مهديفضلالله ،فلسفةديكارتومنهجه ، دارالطليعةللطباعةوالنشر،لبنان ،ط 3 ، 1996، ص90

<<انعلومالطبيعة،الفلكوالطبوسائرالعلومالأخربالتيتدورعلىالأشياءالمركبةهيعرضةللشكقوي،انالثقةبهاقليلة >>[1].

فيحينمايرتبطبالحسابوالهندسةأيمايرتبطبالرياضياتو العلومالمشابهةلها، فلاشكولاتشكيكفيها،وذلكلأنهاتنطلقمنالبديهياتوالأمورالبسيطةالواضحة،لتكونبعدذلكعمليةالتشكيكهيالأخربو اضحةومتميزةللعقلويسهلالتأكدمنمشروعيتهاوصحتها. لذلكقال<< :

أماالحسابوالهندسةوماشاكلهامنالعلوم،التيلاتنظرالافيامورىبسيطةجداوخاصةجدا،دونا هتمامكبيربمبلغتحققا لأمورفيالخارجأوعدم .تحققهافهيتحتويعلىشيءيقينيلاشكفيه>>[2].

وبالتاليماأراديكارتتأكيدههوأن 5+5 تساوي 10 دائما،كماأنالمثلثيحتويعلىثلاثةأضلاعولاسبيللإضافةضلعآخر،ومنثمفهذهالحقائقثابتعبرالزمانوالمكانوصاد قةويقينيةعلىالدوامولايطالهاايشك .

لذافانموجةالشكالديكارتيالتيكانمآلهاالشكفيكلشيء،انتهتبديكارتالىالشكفيوجودههونفسه،وذلكلإيمانهواعتقاد هبوجودشيطانماكريتلاعببفكرةوجودهومنثمقال :

<<ماذايكونالحاللوانفكرةوجودينفسهالمتكنالامنأضاليلذلكالشيطان>>[3]،منهناوبعدماطالالشكالديكارتيمخ تلفالمجالاتوالميادينالمعرفية،بدءابالحواسووصولاالىوجودههونفسه،رفعأنذاكشعارواضحوصريحمضمونة <<أناأشكأناأفكر،اذنانا موجود>>والذييمكنأننطلقعنه**الكوجيتوالديكارتي**

الكوجيتوالديكارتي:

أكدمنخلالهديكارتعنبصمتهوحضورهالدائمفيميدانالفلسفةوحقلالتخليعنمعتقداتهالدينيةوثقتهبالذاتالالهية علىأنهامصدراليقينوالكمالالمطلقالذيليسبعدهكمال،لهذانجدهقدأصرعلىفكرةكمالالذاتالالهية ، فبعدموجةالشكالتيتوصلتاليهاالفلسفةالديكارتية،والتيتناولتكلشيء

.الاانالمصدرالأوللوجودوالحقيقةوالذيلايطالهأيشكفهوسببوأصلكلالموجوداتوالحقائقوالكمالمرتبطبهذهالذا تالالهيةوحدهادونغيرها،لهذاقال:<<

اللههوالجوهرالذييدركأنهكاملالكمالالاأسمىوالذيلانتصورفيهأيشيءيتضمنأينقصأوحدللكمال>>[1].

---

[1])- رينيهديكارت ،تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ،ص 15

[2])- نظميلوقا ، اللهأساسالمعرفةوالأخلاقعنديكارت،المطبعةالفلسفيةالحديثة، القاهرة مصر،د ط ، 2003م، ص 80.

[3])- رينيهديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ،ص15

[1])- نظمى لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، ص 115 .

فاللهعندديكارتهوالحقيقةالأولىوالمصدرالأوللكلالحقائقوالمعارف .

وبالتاليبعداعلاءصرخةالشكوالكوجيتو ،أكددديكارتفيمجالالمعرفةعلىضرورةالجمعبينالذاتوالموضوع،بالإضا فةالىفكرةالثنائيةأيالمادةوالروح .

ومن

هناتوصلديكارتإلىأنهنالكشيطانماكراهوالذييؤثرفيفكرالإنسانلدرجةالخداعحتىفيالحقائقوالبديهيات،ولكنهنا لاحظديكارتأنهناكشيئاواحداجعلهينجومنشكهوهووجودهككائنيشكوذاتمفكرةحيثيرىفيهذاالإطارأنيقينهبأنهموجو دمنخلالحالاتالشك،يقينهبوجودهككائنحقيقيلايستطيعالشيطانالماكرأنيشككهفيذاتهوبهذاحققديكارتقضيتهال شهيرةفيتاريخالفكرالإنسانيوهيقضيةالكوجيتو (أناأفكرإذنأناموجود)[2].

لقدسادالشكعنددديكارتفيجميعمعارفهالحسيةوالعقلية

،وتوصلمنخلالهاإلىإثباتوجودهمنخلالمقولتهالشهيرة<<أناأفكرإذنأناموجود>>،ذلكأنديكارتلميكتفبتعليقأماما لأمورالداعيةإلىالشكفيإنكارهإلىكلماهوغيريقينيكوجودالعالمالخارجيووجودالآخرينوحتىالعملالطبيعيللعقل،إذي كتشففجأةأنهذاالإنكاريتضمندائماإثباتوجودالكائنالذييفكر ،فإذاكنافكرفلأنناموجودون .

وقبلالغوصفيشرحأجزاءهذهالمقولة ، وجبعلينا أننوضحمفهومالكوجيتو :

الذيهواكتشافغيرعاديوهوالمبدأالأولفيفلسفةديكارت،وهوالذيأثرفيكافةأنواعالفلسفة

الحديثةبالإضافةإلىالأدبوالفنوالعلوموالاجتماعيةوالدين،ولقدشغلتالمسائلوالقضاياالتيأثارهاالعديدمنالفلاسفةل عدةسنوات[1]،ولهذايقولديكارت:<<ينبغيأنأستنتجهذهالقضيةوأنأعتبرهاثابتةوهيأننيموجودفيكلمرةأتلفظبهاأ وأتصورهافيذهني>>[2].

وبالتاليفإنالوجودالذييعنيهبعبارة" أناموجود

يقصدبهديكارتانهوجودكائنمفكروحتىهذهاللحظةلانعرفوجوداًخرسواه،لهذاكانديكارتأباالمثاليةالحديثةفهويبـ دأمنالفكرإلىالفكر،كمايمكنالإشارةإلىشرحهذهالألفاظالتيوظفهاديكارتوهيكلمن " أنا" و" إذن " و" أنا " ،وهيعبارةضميرالمتكلمفيالكوجيتومماتبيناًأنديكارتكانعلىخلافوليامجيمسحينقال

:<<أنهيفكرفيأنهكانيشعرشعوراًمباشراًبحضورشخصه>>[3]

أماكلمة" إذن "

فتطلبمزيداًمنالتفسيراتولعلهاتوحيإلينابفكرةأنهناكماينا سبهاالاستدلالالذيهوكلمايفكرموجود،وأناأفكرإذنأناموجو

---

[2]- ابراهيممصطفيابراهيم ،الفلسفةالحديثةمنديكارتإلىهيوم،ص (47 - 48).

[1]- ديفروبنستوف /كريسجارات ،أقدم لك ديكارت ، ص 61 .

[2]- رينيهديكارت ،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى ،ص37.

[3]- جانقال،الفلسفةالفرنسيةمنديكارتإلىسارتر،تر:فؤادكامل،دارالثقافةللنشروالتوزيع،القاهرةمصر، د ط ، د ت ، ص (9-10) .

دفديكارتلايدركالوجودفيالفكرإلاعنطريقالحدس،ومنخلالماذكرناهيكفيلكينفهمكيفاستخلصديكارتمنعبارة<<أنا أفكرإذنفأناموجود>>نظريةالحقيقة،وأنالحقيقةصفةلكلفكرةواضحةمتميزة،بمعنىأنكلفكرةلامكنأنتختلطبأيفكرة أخرى،ولماكانتهذهالخاصيةالأولىلاتكفىمادامتاللذةوالألملايمكنأنيختلطابغيرهما،فإنهينبغيألاتحوىهذهالفكر ةفيذاتهاسوىعناصرمتميزة

كماتتضمنقضيةالكوجيتواعتقاددىكارتللنظريةالثنائية[1]بينالعقلوالجسم،أيأنهيربالإنسانمركبامنعنصرينمنفصلينكلالانفصال،لأنالعقليعدماهيةالفكروالجسمماهيةالامتدادولاتوجدخاصيةلأحدهماعلىالأخر .

وعليهلايمكنأننعتبرفكرةأناأفكرصورةمنفصلةعنمحتواهاالوجودي،إلاعلىسبيلالتجريدوكلتميزمنطقيعنطريقالـ مدرسةيدخلالغموضعلىماهوواضحبذاتهكالفكر،واليقين،والوجودفكلفكرةأياكانتنوعهاالخاصهيدليلوجودقاطع[2]،ومنهتوصلناإلىأن

الطباعالفكريبمعناهالواسعالذينجدهيؤكدأولويةالمدركدونأنيستبعدبعضمايترتبعليه،كالإرادةالتيتتعلقبهبالضر ورةالذاتالمفكرةليستادراكاخالصاوالعقليفترضنوعامنالقبول

بالأحكامالعقلية،ومعذلكفإنالوجدانالذينصادفهفيكلآفاقفكريهوأكثرقربامنطبيعةالفكرالخالصأوالعقل.

فالكوجيتوكمانربأخرجديكارتمنمرحلةالشكومنحأولحقيقةيمكنهالاعتمادعليها،وقدفحصهذهالحقيقةالتيتوصلإل يهاليعرفماالذييجعلمنهاقضيةيقينية،فلاحظأنلاشيءفيقوله :

<<أناأفكرإذنفأناموجود>>يضمنلهأنهيقولالحقيقةإلاكونهيربكثيرمنالوضوحأنالوجودواجبللتفكير،حيثأننالاند ستطيعونحنلمنتجاوزبعدمرحلةالكوجيتوأننتقدملأننافيسجنمننفوسنا،وفيعزلةتامةعمايمكنأنيكونموجوداسوانا فإنهلابدلنامنالبحثعننقطةارتكازفينفوسنا

بالذاتلننطلقمنهاإلىغيرهاونتصلبماسواهامنالموجوداتأنكانتهناكموجودات[3].

ممااينتجلنا أنديكارتتمكنمنخلالالكوجيتومنالوصولإلىإثباتالذاتالمفكرةبواسطةالعقلالمدبرلمعظم الأشياء،ذلكأنالتفكيرحقيقةمؤكدةواضحةنابعةمنذاتالفكرلهاميزةنادرةتتمثلفيإدراك الوجودو الفكرمتحدينإتحادالاينفصلمهمايفعلالروحالخبيثةلنيستطيعأنيخدعنافيها.

على انه من هذا اليقين الاول اهتدى الى **اليقين الثانى وهوإثبات وجود الله**[4]، فالشخص الشاك كائن ناقص ومتناه وعاجز ويأتي عن طريق غيره، و الشعور بالنقص لا يأتي إلا بالمقارنة بالكمال ،

[1]- عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، الفتح للطباعة والنشر ، الإسكندرية مصر، د ط ، 2003 م، ص 38.
[2] جنفيافروليسلويس،ديكارتوالعقلانية،تر :عبدهالحلو،منشوراتعويدات،بيروت، ط 4 ، 1988م ، ص 19 .
[3] -الربيعميمون،مشكلةالدورالديكارتي،الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع ،الجزائر ،ط 1 ،1982 ،ص(31-32).
[4] - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، ص 69 .

ومادام الإنسان ناقص وعاجز إذن لا يأتى بنفسه بل يأتى به غيره فالله هو الذى جاء به وخلقه ، وأودع فى عقله فكرة الكمال وهى وليست دليلاً على كمال الإنسان لأنها خارجة عنه.

واهتدى بالكوجيتو ايضا الى اليقين الثالث وهو إثبات وجود العالم الخارجي [1] ، فقد انطلق ديكارت من وجود الله وكماله إلى وجود العالم ، و أن الله كامل ، والكامل صادق فالكذب ليس من طبيعته ، والصدق الإلهى هو الذى سيضمن لى صحة اليقين بوجود العالم وكافة الحقائق، والصدق الإلهى أيضاً سيمنح الشيطان الماكر من خداعى وتضليلى ،وهو بذلك انتقل من الشك إلى اليقين الدائم وأسس عددا من الحقائق اليقينية فى الفكر الإنسانى كأساس للحضارة الإنسانية الحديثة.

المبحث الثالثالمنهج الديكارتي

قبل إلقاء الضوء على منهج ديكارت الجديد يجب أن نشير أولا إلى موقف ديكارت من المنطق الأرسطي الذي ثار ضده هو والكثيرون معه ثورة شديدة خاصة نظريته في القياس ، إذ يعتبره ديكارت قياسا عقيما لأنه ليس إلا وسيلة لعرض حقائق معروفة.

وبناء عليه بحث ديكارت على منهج آخر جديد يقودنا إلى بلوغ معارف يقينية دون أن نخضع للشك ، وفي هذا الصدد يقول ديكارت:<<إن أرخميدس لم يطلب إلا نقطة ثابتة غير متحركة ، ليزحزح الكرة الأرضية.....بحيث أجاد شيئا واحدا يقينيا لا يقبل الشك >>[2]، والمقصود منه أن ديكارت يسعى إلى بناء منهج جديد يختلف عن المنهج السابق بفضل اعتماده على الأفعال العقلية ، إذ من خلال هذه الأفعال يزول الشك الذي نجده في الأفعال الحسية ، وقد سبق ذكرها عندماثار حول مسألة القياس والملاحظات الحسية بحيث أن ديكارت قد توصل إلى أن كلا منالمسألتين تخضعان لشك .

بمعنى أن المعرفة عن طريق التجربة الحسية تكون مخادعة وليست يقينية ولا تقود إلى الحقيقة المطلقة ، كما أشار ديكارت إلى أنها معرفة لا تنتج أفكار جديدة ، بل هي تعطينا أشياء معروفة، ولهذا نجد ديكارت قد لجاء إلى العقل بغية بناء منهجه بصفة يقينية صادقة تزيل عنه المعارف الشكية بمعنى أن ديكارت اعتمد المذهب العقلي .

[1]) - مهدي فضل الله ،فلسفةديكارتومنهجه ، ص(61 - 62).

[2])- رينيه ديكارت ، قواعدلهدايةالعقل ، تر : سفيانسعدالله ،دارسراسللنشر ،تونس، د ط ، 2001 م، ص 49 .

ولهذا يشير ديكارت إلى أن الفلسفة الصحيحة يجب أن تعتمد على منهج دقيق، لذا جعلديكارت منهجه الجديد قريب من منهج الرياضيات حتى يتصف باليقين والصدق وتجنب تسرب الشك إلى ما يصل إليه من نتائج .

ويقول ديكارت:<< ليس غرضي أن أعلم المنهج الذي يجب على كل فرد إتباعه لكي يحكم قيادة عقله ،ولكن غرضي أن أبين على أي وجه حاولت أن أقود عقلي ...>>[1]، وهنا يشير ديكارت إلى كيفية توظيفالعقل بشكل سليم ، بمعنى ضرورة السلامة في استعمال العقل ليصل من خلاله إلى المعرفة اليقينية ، وذلكيكون بالإ رادة والقدرة على الحكم العقلي وفيه يقول ديكارت : <<إذ أنه لا يكفي أن يكون العقل سليما بل الأهممن ذلك هو أن تستعمله استعمالا جيدا...>>[2]، وعلى غرار هذا وضع ديكارت جملة من القواعد لتوجيه العقلفي صورة منهج جديد.

وفي تعريفه للمنهج قال:<<هو عبارة عن القواعد النيي تعين الإنسان على زيادة عمله تدريجيا ... والارتقاء شيئا فشيئا إلى أسمى نقطة يستطيع بلوغها>>[3] ، بمعنى أن المنهج ما هو إلا عبارة عن جملة منالقواعد تكفل لمن يصل إلى بلوغ اليقين في العلوم باعتباره متصل بالعلم أو أداة له لارتباطه بالمنطق .

وقدأشار ديكارت إلى أسس المنهج قبل أن يتطرق إلى قواعده و المتمثلة في:

<u>أولا : أسس المنهج الديكارتي</u>: أسس المنهجالديكارتي قائمة من خلال الأفعال الصادرة عن ملكة العقل التي تبلغ العلم الحقيقي والمتمثلة في :

<u>أ – البداهة :</u>

تعتبر البداهة الرؤية الذهنية المباشرة للأشياء أو العيان المباشر لها دون أي شك في صحة هذه الرؤية، بمعني أن البداهة نوع من المعرفة المباشرة لا تحتاج إلى أي وسيط ، إذ ينتقل فيه الذهن أو العقل من شيء مجهول إلى شيء معلوم انتقالا ليس فيه تفكير أي لا يحتاج العقل فيه إلى إبدال جهد ذهني كبير لأن المسألة تكون فيها واضحة ولا تحتاج إلى برهان ومثالنا على ذلك : الكل أكبر من الجزء ،أو المثلث شكل مألوف من ثلاث خطوط أو شكل مادي له شكل و حجم ووزن وغيره من الأمثلة .... [4]، ويوضح ديكارت في تميزه بين العيان الذهني المباشر أو الرؤية العقلية ، وبين

---

[1]) رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص165

[2])- جنفيان رووليس لويس ، ديكارت و العقلانية ، ص 17 .

[3])- رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص 92 .

[4])- مهديفضلالله ،فلسفةديكارتومنهجه ،ص 103 .

الرؤية الحسية التي لا ترقى إلى درجة البداهة ، أو الرؤية الذهنية لأنها تعتمد على الحواس إلا أن الحواس خادعة في معظم الأحيان ، ولا يمكن الاعتماد عليها لأنها لا تصلح لأية معرفة يقينية ، معناه أن الحواس تعطينا معارف غير صادقة لا يمكن الأخذ بهاأو بناء معارف أخر عليها .

إلا أن ديكارت يميز بين أحكام البداهة وأحكام الخيال ، فالخيال لا ضابط له لأن أحكامه تختلف من شخص إلى أخر بعكس البداهة التي لا اختلاف في أحكامها باختلاف الأشخاص باعتبارها واضحة ويقينية ، ولهذا يقول ديكارت:<< كل علم هو معرفة يقينية بديهية ، والإنسان يشك في كثير من الأشياء ،لا يكون أكثر علما من الذي يفكر فيه .....>>[1] ، وإذ ما تسألنا

عن الأسباب التي تجعل أحكام البداهة لا يرقى إليها الشك يجيب عنه ديكارت بأن ذلك يعود إلى طبيعة الفكرة البديهية نفسها ، بمعني أن الفكرة البديهية ببداهتها تزيل عن نفسها جميع الشكوك نظرا لوضوحها لأنها لا تحتاج إلى أي شرح أو مثال فهي واضحة بذاتها .

ومنه فإن الفكرة البديهية تتميز بخاصيتين أساسيتين هما :الوضوح من ناحية والتميز من ناحية أخربلذلك يقول ديكارت:<< إني قادر على تقرير هذه القاعدة العامة وهي أن الأشياء التي نتذهنها بوضوحها تاموتميز تام هي صحيحة كلها >>[2]

1 – الوضوح:

تعد الفكرة الواضحة هي الفكرة الجلية بحد ذاتها ، التي لا تحتاج إلى تفسير، لأن العقل يذعن لهاولا يشك فيها ، كما هو الحال بالنسبة إلى الأفكار الغامضة أو المعقدة ، التي لا تحتاج إلى التفسير والتوضيحلتصبح مقبولة من طرف العقل ، بمعنى أن الفكرة مادامت واضحة فإنها تستغني عن جميع الشروحات منأمثلة وتحليلات بغية إيضاح ،وتقريب الفكرة للعقل لأنه ليس بحاجة إليها

2 – التمييز:

تعد الفكرة المتميزة عند ديكارت فكرة لا يلتبس معناها في الذهن مع معنى فكرة أخرى ، إنما يبقىالذهن يميز بينها وبين غيرها من الأفكار سواء منها الواضحة أو غير الواضحة ومثالنا على ذلك قول : أناأرغب ،أنا أتخيل .....الخ [3] ، ومنه يدخل في نطاق الأفكار البديهية الواضحة

---

[1]) رينيه ديكارت ، قواعدلهدايةالعقل ، ص 30 .

[2]) رينيهديكارت ،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى ، ص 27 .

[3]) ابراهيممصطفيابراهيم ،الفلسفةالحديثةمنديكارتإلىهيوم ، ص 106 .

المتميزة فيما بينها وبينالأفكار الأخرى على أساس أنه لا يمكن أن نقوم بهذه الأفعال دون أن يكون اعتقد بوجود حسي ، ويكونإدراك للتميز القائم فيما بينها من حيث المعنى ، بمعنى أن الفكرة المتميزة لا يلمسها اختلاط مع بقية الأفكارالأخرى نظرا لميزتها ، وبالتالي تبقى مميزة في ذهن الإنسان مهما كانت هذه الفكرة واضحة أو معقدة وهذاما يسمى بالأفكار البديهية المتميزة و الواضحة بذاتها .

وفي هذا الصدد يقول ديكارت:<< لا أعني بالبداهةالاعتقاد في شهادة الحواس المتغيرة أو أحكام الخيال الخادعة ....ولكني أعني بها تصور النفس السليمة...تصورا هو من السهولة والتمييز...التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة عن مجرد الأنوارالعقلية >>[1]

ب – الاستنباط :تعتبر فكرة الاستنباط عند ديكارت كناية للعملية العقلية ، إذ ننتقل بواسطتها من

فكرة بديهية إلىفكرةأخرى جديدة تكون نتيجة ضرورية لها ومن هذه الفكرة أو النتيجة إلى فكرة أخرى ونتيجة أخرى مجهولةتصدر عنها بالضرورة ، ومنه فالاستنباط نوع من الاستدلال الرياضي ننطلق فيه من فكرة أولى بديهيةلاكتشاف حقائق جديدة مجهولة عندنا ليست واضحة في الفكرة الأولى ولا تتضمنها كما هو الحال بالنسبةإلى القياس .

معناه أن الاستنباط يعد وسيط بين الفكرة البديهية ، وفكرة أخرى جديدة أثناء القيام بعملية عقلية ما نضرا لأنها تعد نوع من أنواع الاستدلال في الرياضيات ، ومنه فإنها تعد كمنطلق للفكرة البديهية ومما لاشك فيهأن الاستنباط أقل مرتبة من البداهة ، لأن الفكرة البديهية لا تثير أدنى شك في صدقها أما الفكرة المستنبطةفيمكن الشك فيها ، لأنها قد تكون بديهية بالضرورة بالرغم من اعتمادها على فكرة بديهية ذلك لأنها نتيجةالتفكير في الزمن.

وعليه فإن الاستنباط يكون بديهيا عندما يستند على فكرة بديهية كما لا يمكن أن يكون بديهيا عندما يكونمستند على فكرة بديهية مهما كان صحيح في صورته الخارجية ، ويشير ديكارت إلى أن جميع النتائج التيتستنبط من مبدأ غير بديهي لا يمكن أن تكون بديهية مهما يكن الاستنباط من حيث صورتها الصحيحة ،ويترتب على هذا أن جميع الاستدلالات التي أقاموها غيره على مثل تلك المبادئ لم تتمكن من جعلهميتقدمون خطوة واحدة في البحث عن حكمة .

ج– الحدس:

[1])- رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ص 37 .

يعتبر الحدس عند ديكارت معرفة عقلية مباشرة لذلك قال:<<لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتبادلة أوحكما خادعا تولده مخيلة تركب موضوعها بطريقة سيئة ، وإنما أقصد به التصور الذي ينشئه الفكر الخالص..... >> [1]

معناه أن الحدس قريب مما يسميه المدرسيون تصورا ، لكن هذا لا يعني أن الحدس والتصور شئواحد،لأنه ليس وليد التجربة و بالتالي لا يعتمد على التجربة والحس في شيء ، بل أن الحدس بصيرة العقلورؤيته لطبيعة الشيء و ماهيته فياستيعاب مباشر لتلك الطبيعة حاجز ، فالتوفيق كامل بين صفاء النظرةالعقلية وبساطة الطبيعة موضوع النظرة وعلامة الحدس يقين الموضوع من ناحية ،وكذلك صدور الحدسمنتبه خالص غير خاضع للحس و الخيال من ناحية أخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة في فعل الحدس هذا ، وعلى الطبائع التي يعرفها الإنسان ،

فبالحدسوجد ديكارت نفسه وتفكيرها وكذلك يعرف الدائرة والمثلث والامتداد وما إلى ذلك من أمثلة ... [2]، وكتعليقلا يمكن أن نعتبر كل معرفة عقلية مباشرة بالضرورة معرفة يقينية صادقة لأنه من المحتمل أن تقع فيأخطاء هي الأخرى .

ثانيا : قواعد المنهج الديكارتي :وتتمثل في قواعد أربعة وهي على التوالي :

أ–قاعدة اليقين والبداهة :

يشير ديكارت إلى هذه القاعدة بقوله :<< ألا أقبل شيئا على أنه حق ، ما لم أعرف يقينا أنه كذلك ، بمعنىأن أتجنب بعناية التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي فيجلاء وتمييز.....>>[3] ، معناه لا يمكن أن نأخذ بفكرة ما على أنها عامة وشائعة أو مقبولة بين جمهورالمفكرين ، إلا بواسطة الاستقلال الفكري بعيدا عن تلك المورثات الثقافية التقليدية مما يدفعنا إلى تربية الحكموالقدرة على النقد ،لأن من آفات الفكر الإنساني الميل مع الأهواء والتسرع في الحكم دون تمحيص وتدقيقفيه .

وعليه فإن ديكارت لا يعتبر أن أي فكرة يقينية ما لم تتبين بالبداهة أنها كذلك ، وذلك بواسطة تشغيلالفكر بصفة ذاتية في كل الأفكار التي نملكها سواء كان امتلاكنا لها حاصلا عن طريق الوراثة أو الاكتسابحتى لا يبقى في عقولنا إلا الأفكار التي يسلم بها كل ذي عقل سليم ، ولا يمكن

[1])- رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ص 36 .
[2])- محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر، ج 4 ، د ط ، 1996، ص50 .
[3]) - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص 143 .

أن يشك بها أو نرفضهاوالوسيلة إلى ذلك ممكنة وتكون عن طريق مراعاة ثلاثة مبادئ هي:1- تجنب التسرع في الأحكام :ذلك أن التسرع في إطلاق الأحكام من عيوب الإنسان الذي يميل بطبعه ، على حد قول فرنسيس بيكونفي نظريته الأوهام الأربعة إلى تجنب الجهد و إلى إصدار الأحكام جزافا ، لذا لابد من أعمال الفكر أوالنظر قبل إلقاء وإصدار الأحكام .

2- عدم الميل مع الهوى :لأن عكس ذلك يبعد الباحث عن المنهج العلمي الصحيح الذي ينفي إتباعه في البحث ، وهذا المبدأيتمثل في التأييد العاطفي العشوائي لأراء أو أفكار شخص ما فيلسوف ، أو أديب ...دون بحث وتمحيص .

3- عدم قبول شئ غير بديهي :بما أن عكس ذلك يورث الاضطراب في الذهن نتيجة غموض ما فيه من الأفكار ، فإن هذا إذنيقتضى عدم قبول أي شئ سواء كان ذلك فكرة أو معتقدا ، إلا إذا توفر فيه شرط البداهة وهو كما سبقو رأينا الوضوح التام و التميز المطلق . [1]

ب – قاعدة التحليل :

وفي قاعدة التحليل يقول ديكارت:<< ينحصر المنهج بأجمعه ، في أن نرتب و ننظم الأشياء التي ينبغيتوجيه العقل إليها لاستكشاف بعض الحقائق ونحن نتبع هذا المنهج خطوة خطوة إذا حولنا بالتدريج القضاياالغامضة المبهمة إلى قضايا أبسط ، وإذا بدأنا من الادراك البديهي لأبسط الأشياء كلها فإننا نجتهد أن نرقىبنفس الدرجات إلى معرفة سائر الأشياء >>[2] ، الملاحظ أن ديكارت يؤكد على ضرورة فك تلك الأفكار ،والقضايا من الغموض المبهم إلى أفكار أكثر وضوح وتبسيط لاستطاعة العقل ادراكها أي تحول قضية مامن معقدة إلى قضية بسيطة وواضحة وصولا إلى المعرفة الحقيقية اليقينية .

ولهذا فإن القاعدة تفترض ابتداء من مشكلة عويصة أو معقدة ، لأن ما هو بديهي أو واضح و متميزليس بحاجة إلى التحليل ، لأن التحليل يجب أن يؤدي في نهاية المطاف إلى فهم مشكلة عناصرها البسيطةالمكونة لها ومعرفتها معرفة مباشرة ، سواء عن طريق البداهة أو الاستنباط المرتكز على الأفكار البديهية ،ومثلنا هو : دراسة مشكلة اجتماعية ما بارزة كالطلاق أو انحلال الأسرة أو تعاطي المخدرات مثلا فما علينالا أن نأخذ عينة من الأفراد تمثل موضوع المشكلة ، فنحصى عددهم ثم ندرس حالة كل منهم على حداوبعدها نتعرف على القواسم المشتركة لجميع

[1] - مهديفضلالله ،فلسفةديكارتومنهجه ، ص 108 .
[2] - رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ص 45 .

عللهم ، وأخيرا نصف العلاج لهذه المشكلة وفي هذا الصدد قالديكارت:<< أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع ، على قدر ماتدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه .....>> [1]

ج- قاعدة التأليف أو التركيب :

وفي القاعدة الثالثة من قواعد المنهج يقول ديكارت:<< أن أسير أفكاري بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلا حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيبا ، بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التي لايسبق بعضها الأخر بالطبع ....>>[2] ، تعتبر هذه القاعدة من أهم قواعد المنهج بنظر ديكارت على أنها أبرزالقواعد أثرا عند تطبيقه لمنهجه ، لأنها لا تكتفي بالتقسيم و إنما توضح لنا كيف تتعلق النتائج بأسبابها وفقالنظام العقلي ، وعليه فإن المنهج بأجمعه ينحصر في ترتيب و تنظيم الأشياء ، التي ينبغي توجيه العقل إليهالاستكشاف بعض

الحقائق ،من خلال إتباعنا لهذا المنهج خطوة خطوة إذا حولنا بالتدريج القضاياالغامضة المبهمة إلى قضايا أبسط منها .

معناه أن نؤلف من جديد بين عناصر أو أجزاء المشكلة أو الفكرة التي ندرسها والتي قمنا بتحليلها تأليفارياضيا بادئين بأبسط العناصر إلى أقل منها بساطة ، وهكذا دواليك في التسلسل المنطقي وليس منالضروري أبدا أن نعيد ترتيب عناصر المشكلة كما كانت عليه من قبل ، وإنما أن نعدل في هذا الترتيب إذاكان يساعد على الفهم والحل، وفي بعض الأحيان لا تحل المشكلة كليا وتبقى مستعصية في بعض أجزائها على الحل ، لذلك ينصب اهتمامنا على هذه الأجزاء لنتمكن من فهمها.

د- قاعدة الاستقراء التام أو الإحصاء الشامل:

يعبر ديكارت عن هذه القاعدة بقوله:<<أن اعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة و المرجعياتالشاملة ما يجعلني على ثقة من أني لم اغفل شيئا ...>> [3] ، والغرض من هذه القاعدة تشكيل العلم وذلكبان نمر بحركة فكرية متصلة بكل الموضوعات التي تتصل بغرضنا ، بحيث يصبح من المستحيل أن نصلبالبداهة إلى إقامة علاقة بين الحد الأول، والحد الأخير أي أن الوصول إلى النتيجة لا يكون من عملالبداهة ، إذن فوظيفة هذه القاعدة هي مراجعة الصلات و

[1]) – المصدر نفسه ، ص 46 .
[2]) - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص(21- 22).
[3]) - رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ص 46 .

الروابط بين الحلقات التي تكون سلسلةالاستدلالات ، فإذا تأكدنا من وثاقة اتصالها جاز لنا أن نحكم حكما صحيحا و يصبح هذا الحكم بالغا مناليقين ما تبلغه البداهة ، لذا يجب أن تكون عملية الاستقراء التام متصلة غير منقطعة ، ولهذا فهي تعنيوجوب عدم إغفال أي عنصر من عناصر المشكلة موضوع البحث فقد تتعدد الحدود في المشكلة ، وإهمال دراسة أي منها يعقد الأمر بحيث يصبح من الممكن إدراك العلاقة القائمة فيما بينها إدراك بديهي على أناستطراد العلاقة بين الحدين يؤلف نتيجة .

المبحث الرابع التقييم ونقد

التقييم:

ورغم الإنتقادات الموجهة له إلى أن هذا لاينقص من قيمة ودوره الفكري ، فنجد تأثيره لم يبقى حكرا على تلك الفترة فقط – الفترة الحديثة – بل امتدى تأثيره إلى الفلسفات المعاصرة ، فقد إتسع نطاق هذا التأثير بحيث تجاوز الديكارتيين من أمثال مالبرانش الذي اعتنق كثير من أرائه ، وهذا خير دليل على قوة فكر ديكارت إلا أن تأثيره كان أكبر من أي فيلسوف آخر من الذين عاصروه ، رغم الإنتقادات ، واستحق لهذا أن يدعى أبو الفلسفة الحديثة، وفي هذا يقول راسل :<<يعتبر رنييه ديكارت عادة مؤسس الفلسفة الحديثة وبحق كما أظن>> [1]

وهذا ما فعله ديكارت فقد أحدث ثورة فكرية ليس في مجال العلم والفلسفة فقط و إنما في مختلف المجالات كالأدب وغيرها فهو فيلسوف وعالم وأديب ، كما أن هناك عنصر في فلسفة ديكارت كان من أكثر عناصر فلسفته ثوريا وهو الذي أثر في هؤلاء الفلاسفة – الديكارتيين – جميعا ، هذا العنصر أنه جعل السؤال المعرفي كيف أعرف ؟ وهو محور للفلسفة [2] ، ومنه لا يمكن إنكار الدور الذي قام به ديكارت للفلسفة والعلم ، إذ أنه طرح السؤال المعرفي الذي يعد القلب النابض.

[1]) - مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، ص 72 .
[2]) - فؤاد كامل و اخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ص 195.

كما أنه ابتكر منهج يعتبر أنه تفرد به عن الذين عاصروه وهو يعتبر التجديد في فلسفته ،حيث نجد أن فلسفته لم يكن التجديد فيها على مستوى التعريف أو النظرة الشمولية كما قلنا سابقا وإنما كان كان تفرده في ابتكاره منهج من خلال وضع له أسس وقواعد تضمن لمن يراعيها بدقة وصوله إلى معارف حقيقية وثابتة ويقينية .

واستطاع أن يبرهن على فلسفته والرد على كل الإعتراضات من خلال مؤلفاته شارحا ومبينا لكل ماتعرض له من نقد في الفترة التي عاش فيها ،مثل الرد على " جاسندي" من خلال اتهامه بالدور فهو يقول في هذا الشأن:<< ثم إنني بينت بوضوح لا بأس به في ردودي على الاعتراضات الثانية أنني لم أقع في الخطأ المسمى بالدور، عندما قلت أننا لسنا على ثقة من أن الأشياء التي نصورها تصورا شديد الوضوح والتمييز هي جميعا حقيقية الا لان لله كائن او موجود ، و اننا لسنا متأكدين من أن لله كائن أو موجوا لا لأننا نتصور ذلك بوضوح وتمييز شديدين... ولكن يكفي بعد

ذلك أن نتذكر أننا تصورننا شيئا تصورا واضحا لن يكون على ثقة من أنه حقيقي وهذا لا يكون كافيا إذا لم نعرف أن لله موجود وأنه لايمكن أن يكون خادعا>>[1]

ومنثمكانلفلسفةديكارتتاثيرمباشرفياستفاقةالعقولمن غفلتهاو اطلاقالعنانللحريةالفكرية .

ليكونمنبينأهمالمتأثرينبفلسفته نجد:

باروخسبينوزا* (Baruch Spinoza):هذا الاخيركانمعجببديكارتأيماإعجاب،ومهتمبقراءةمصادرهومؤلفاته ،ليتمكنفيمابعدمنأن يصنعمننفسهفيلسوفعلىمنوالهفيالكثيرمنالنواحيوالتوجيهات ،لذلكاستحقأنيقال عنههوالديكارتيالوحيد ،الذياستطاعأنيطبقالمنهجالديكارتيتطبيقاجدرياًفي المجالاتالتياستبعدهاديكارتمنمنهجه ، وقدأخذمنهجديكارت ليطوعهفيمابعدعلىمختلفالمجالاتالتياستصعبعلىديكارتالولوجفيهامنديناوسياسة.

فالمجالالأول :أيمجالالدينااستبعدهديكارتمنحيثتطبيقعليهامبدئيالبداهةوالوضوح التينادىبهافيمنهجهكأولقاعدةأوخطوةليتحاشاهاويتجاوزمعهاالعقل(ذلكمنمنطلقانها حقائقربانيةمفارقةلعقولنا)ليدعالأمرللإدارةوالفضلالالهيوفقط،وهذامانستكشفهفيقوله:

<<أنالايمانبالحقائقالدينيةليسفعلاللعقلبلفعللللإدارةلذلكلايطبقعليهمقاييس

---

[1]) - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص 99

* باروخسبينوزا: هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17 ،ولد في 24 نوفمبر 1632 في أمستردام ، وتوفي في21 فبراير 1677 في لاهاي.

الوضوحوالتمييز،أكثرمنذلكأنكلالحقائقالدينيةتتعدىحدودالعقل،ولايكمنللإنسان
التصديقالابمعونةمنالسماء،وبفضلمناللهأيأنديكارتيبدوهاهناهادماللعقل،و
معطلالوظائفهفيفهمالحقائقالدينية>>[1]

اضافة للمجال الثاني أي السياسة نجد أن سبينوزا قد واجهها وخاض فيها ليثبت بذلك أن فلسفته هي ثورة حقيقية لمختلف الأوضاع الاجتماعية السائدة، سواء ما نخصه بالذكر الدولة باعتبارها أول سلطان يسير الشعوب

مالبرانش[**] **(Nicolas Malebranche)اكد** ان الحقيقة الكاملة والمطلقة كامنة في الذات الإلهية وحدها، وفي هذا الصدد يقول: <<ما من شيء، اذا تأملناه كما ينبغي إلا ردنا الى الله>> [2]

وبالتالي فمالبرانش يؤكد ان الذات الإنسانية ترى افكارها في الله ،وانه هو وحده محل جميع الأفكار سواء المادية او الحقائق الكلية المطلقة.

اما مصدر المعرفة عند مالبرانش فهو العقل ،كما هو الحال عند ديكارت طبعا. وذلك على اعتبار ان العقل هو صفة متحدة بالله ، وبالتالي لا توجد هناك ضرورة لنتحرى عن صدق الأفكار، ما دمنا نشاهدها و نراها في الله، لهذا صرح مالبرانش: << وعلى ذلك فلا حاجة الى ضمان صدق الأفكار الجلية، من حيث اننا نراها في الله ذاته، فمبدأ اليقين اتحاد العقل بالله، او حضور الله للعقل>> وبالتالي فتأصيل فكرة الاتفاق بين الفيلسوفين يظهر حليا في سير مالبرانش في نفس توجه ديكارت ،من حيث اعتبار ان الله هو مصدر القيم ومختلف الحقائق والمعارف نجده يقول: <<ان كل شيء في الله>> [3].

كما نجد مالبرانش سار على نفس خطى ديكارت ،عندما اكد على أخطاء الحواس وفشلها في ادراك الحقائق في ذاتها، لهذا قيل: <<مالبرانش يصطنع موقف ديكارت بكل دقة، فيتحدث عن أخطاء الحواس وتعارضها فيما بينها، وتعارضها مع المعرفة الفعلية>>[4].

---

[1]) -باروخ اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، تر: حسن منفي، دار التنوير، بيروت لبنان ، د ط ، 2005 ، ص9 .

[**] مالبرانش: كاهن فرنسي عاش في الفترة ما بين 6 أغسطس 1638 - 13 أكتوبر 1715، وهو يعد أحد الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر.

[2]) - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص98

[3]) - زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، ص 125

[4]) - فريديريككوبلستون، تاريخالفلسفةمنديكارتاللليبنتز ، ص 98 .

كما يمكن أن نؤسس الاتفاق بين الفيلسوفين، من خلال دعم مالبرانش لفكرة الثنائية الديكارتية بين الروح والمادة(لأنه قبل الثنائية الديكارتية بين الروح والمادة، الفكر والامتداد، وتوصل الى نتيجة هي أنه لا يمكن لاحداهما أن تؤثر على الأخرى بصورة مباشرة)[1]

ثانيا :النقد

لاشكانكلمذهباواتجاهفكريلهمؤيدين،وهذاماوجدناهفيمرحلةسابقةمنخلالاتباعوتلاميذديكارت،الذينايدوهوسد اروا علىنفسخطاهوانتهجوامنهجهفيالمعرفة،لكنرغمذلكالاانهوقعفيجملةمنالنقائص والعيوب،التياستغلهااللاحقينعنهاوالمعارضينله،مناجلدحضهوالتوجهاليهبالعديدمن الانتقادات،منبينهؤلاءنجد :

جاسندي*(Yair Gasendi) : تعرض هو الأخر لنقد ديكارت في عدة نقاط من بينها

1- اعتبار أن "الكوجيتو" قياس وليس حدس فيكون هذا القياس في الصورة على النحو التالي:

- كل مفكر فهو موجود
- وأنا مفكر

- إذن أنا موجود

و يصبح الكوجيتو صورة من صور القياس وليس الحدس كما يدعيه ديكارت .

2- اضافة لنرى أن ديكارت رفض وأحدث قطيعة مع كل ماهو تقليد في حين نجد أنه تأثر بالفلاسفة العصور الوسطى وذلك أنه استخدم في إثبات وجود لله الأدلة التي استخدمها قديس "أنسلم" و القديس" أغسطين" ويظهر هذا التأثر في الدليل الأول والدليل الثاني .

3- اتهام وقوعه في الدور ويعرف الدور على أنههو التوقف وجود أحد الشيئين على وجود الآخر،[2] ، ونعني هنا بالدور أننا نثبت قضية ثانية انطلاقا من الأولى ثم نعود لنثبت القضية الأولى انطلاقا من الثانية وهذا ماوقع فيه ديكارت ، وفي هذه النقطة نقد " جاسندي " ديكارت معترضا على أدلة ديكارت في إثبات وجود لله ويقول في هذا الصدد :<< انك تذهب إلى أن الفكرة الواضحة المتميزة حقيقة لان لله موجود ، ولأنه خالق تلك الفكرة ، لكنك تقول من جهة أخرى أنا لله موجود لأنه خالق ولان لديك عنه فكرة فطرية واضحة متمايزة ، فالدور واضح لايخفى على أحد >>[3]

---

[1]) - المرجع نفسه، ص 261 .

*بير جاسندي(Yair Gasendi)(22 يناير 1592 - 24 أكتوبر 1655) هو فيلسوف فرنسي وعالم فلك ورياضياتي

[2]) - محمد جواد ، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات ، دار مكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ،ص 207

[3]) - رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ،ص 91 .

ويتبين من خلا ل قول " جاسندي " أن ديكارت قد وقع في الدور، وذلك أنه أثبت أن الله واضع هذه الأفكار وهي يقينية ، لكن من جهة أخرى يرى أنها أفكار فطرية واضحة و بديهية لاتحتاج إلى إثبات وهنا وقع في الدور ، بحيث يؤكد على أن الأفكار واضحة لا تحتاج إلى برهان بينما يستند بلله كضمان لهذه الأفكار .

جون لوك* **(John Locke):** من بين رواد المذهب التجريبي، نجد الفيلسوف " جون لوك " الذي اختلف مع ديكارت في القول أن العقل هوالوسيلة الوحيدة لإدراك المعارف ،وبهذا هو يرفضالأفكار الفطرية حيث يقول في هذا الشأن :<< إن عقل الطفل يكون خاليا إما من الأفكار قبل أن يستقبل أي إحساسات من حيث أنها نتيجة مثيرة لأعضائه الجسمية ، فهو أشبه في خزانة فارغة من الأدراج،أو صفحة بيضاء ليطبع عليها شيء، أوقطعة من الورق الأبيض لم يكتب عليها شيء >> [1] ، وما نستشفه من خلال هذا القول أن الطفل لا يمتلك أفكار فطرية بل هو عبارة عن صفحة بيضاءونحن نكتب عليها ما نشاء ، وبهذا رفض (لوك) الأفكار الفطريةالتى ندى بها

ديكارت ، مما يعني هذا أنه لاوجود لأفكار قبلية،بل كل الافكار نكتسبها عن طريق التجربة

دافيد هيوم* **(David Hume):** هو الاخر من بين رواد المذهب التجريبي ، يصرح بأنه لا يمكن أن نصل إلى معارف يقينية بدون حواس فهي عبارة عن نوافذ للعقل البشري ، يقول في هذا الشأن أيضا: <<فلا يمكن للأعمى أن يعطي أي فكرة عن اللون ولا الأصم أي فكرة عن الصوت >>[2]

وما يمكن أن يتبين لنا من خلال قول " دافيد هيوم " أن فقدان حاسة يتحتم علينا فقدان معرفة فمثلا أن الأعمى لايعرف اللون ولا الأصم يمكنه التعرف على الأصوات حتى ولو كان هذا المصاب سليم العقل فلا يمكنه فهم المعرفة فهما كليا، وذلك أنه لاتوجد أفكارا في عقله.

هوسرل(Edmund Husserl) و ميرلوبونتي*** (Merloponte)** : فقد تعرضا لنقد ديكارت عندما فصل بين النفس والبدن ، وهذا مايظهر في مؤلفات هوسرل مثل " كتاب أزمة العلوم الأوربية " ،كما نجد "ميرلوبونتي" هو الأخر قد تعرض لنقد ديكارت في هذه النقطة وهي الفصل بين النفس والبدن باعتبار أن المعرفة عند ديكارت مقتصرة على الذات ، فيرى ميرلوبونتي أنه لا يمكن إنكار دور الجسد في فهم العالم فهو عبارة عن وسيلة التي نتواصل بها بالعالم ، بمعنى أن الوعي بالذات أي وعي

---

* جون لوك: (John Locke) (29اوت 1632 - 28 أكتوبر 1704) هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي.

[1]) - وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر:محمدالسيدأحمد،دارالتنويرللطباعةوالنشر،بيروتلبنان، ط 1،2010 ، ص 159 .

* دافيد هيوم : (David Hume) (ولد في 26 أفريل 1711 - توفي في 25أوت 1776)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي

[2]) - دافيد هيوم ، مبحث في الفهامة البشرية ، تر: موسى وهبة ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، ط 1، 2008 ، ص 15

** هوسرل: (Edmund Husserl)(8 أفريل 1859 - 26 أفريل 1938) فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات.

*** ميرلوبونتي :(Merloponte) (1908–1961 م) فيلسوف فرنسي تأثر بفينومينولوجيا هوسرل .

الشعور ، ويكون هذا التواصل عبر الجسد ولذا لايمكن أن نفصل بينهما حسب تعبيره نحن وعيا وجسدا معا ، ولا يمكن التمييز بينهما ففي هذا يرى مير لبونتي : <<نحن لسنا وعيا فقط أو موضوعا فقط بل نحن وعي وموضوع معا وكل ما فينا نفس وجسد>> [1].

كما نجد أن مير لوبونتي قد وجه انتقادات للكوجيتو الديكارتي من خلال كتابه "فينومولوجيا الإدراك" الذي يرى فيه أن الكوجيتو الديكارتي منطويا في الذات ، فقد قدم لنا "بونتي" كوجيتو يختلفعن كوجيتو ديكارت فقد نقله من الذات إلى العالم ، إن الكوجيتو عند ديكارت هو << أنا أفكر إذن أنا موجود >>ليصبح الكوجيتو عند ميرلوبونتي هو الوعي بالشيء وهذا الشيء موجود في الخارج بمعنى المعاش ، وبهذا تجاوز " بونتي" الكوجيتو الديكارتي معلنا نوع أخر من الكوجيتو وهومعبر عنه << بالكوجيتو المتجسد >> بمعنى الكوجيتو المعاش في عالم العيش عن طريق الخبرة وليس ذلك الكوجيتو الذي يبقى منطويا على الذات وهذه الفكرة التي نجدها عند " سارتر" وهذا ما نجده في كتابه " الآخر هو الجحيم" بينما غير وجهة نظرته ، بحيث يرى على أن الكوجيتو عليه أن يرمي به إلى الخارج .

جون بول سارتر [*](Jean-Paul Sartre):ذوالنزعة الوجودية المعاصرة يخالفه ، ويعبر رفضه لمنهج ديكارت، خاصة وانه اهمل الوجود الخارج عن نطاق الفكر،عندما رسم معالم فلسفته باسبقية الوجود عن الماهية، واقلب كوجيتوه انا افكر ،اذن انا موجودالى <<انا موجود، فانا ذات مفكرة >> ، مع التاكيد على الحرية وتحمل المسؤلية. [2]

ليبنتز [**] **(Gottfried Wilhelm Leibniz):** يقول على الوضوح الديكارتي:<< إن ديكارت قد أسكن الحقيقة في فندق الجلاء إلا أنه حجب عنا العنوان >> [3]، من يتبين لنا من خلال قوله هذا على أن ديكارت إذا كان يعتبر الوضوح والجلاء فكرة واضحة فإنما نلحظه أن هذه الفكرة في حد ذاتها تحتاج إلى وضوح باعتبارها أنها المقياس الأول للحقيقة ، فكيف لنا أن نأخذها على أنها جلية وواضحة .

---

[1]) - سمية بيدوح ، فلسفة الجسد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، تونس ، د ط ، 2009 ،ص 19..

[*]جون بول سارتر :(Jean-Paul Sartre) 21 يونيو 1905 باريس - 15 أبريل 1980 باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي.

[2]) جان بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر: عبد المنعم الحنفي ، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1964، ص(40-41)

[**]ليبنتز :(Gottfried Wilhelm Leibniz)فيلسوف ورياضي وفيزيائي ومؤرّخ الماني ، ولد في مدينة لايبزيغ في ألمانيا سنة 1646.، و1716 تاريخ وفاته. وتنقّل في هذه الفترة بين فرنسا وأنجلترا وهولاندا، حيث التقى كبار مفكري عصره وعلمائه

[3]) - عبد الوهاب جعفر ، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، ص 61.

و يقول البير بابيه[***](Albert Pape)في هذا الصدد: << إن الأفكار الواضحة جد أفكار ميتة >>[1] ، مما يعني من قوله هذا أن الأفكار الواضحة هي أفكار ميتة بمعني أنها أفكار غير جديدة فهي بهذا أفكار منطوية على نفسها ولا يمكن اعتبارها أفكار حية وإنما هي ميتة لأنها لا تأتي بالجديد وذلك لأنها ليست غامضة ، كما أن ديكارت قد شك في العقل وإستدلاله هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبره الوسيلة لبلوغ اليقين ويعتبر هذا تناقض في فلسفته فكيف يمكن الوصول إلى اليقين بالشيء الذي اتخذناه على أنه يخطئ .

يوسف كرم[****]:يرى بأن الشك الديكارتي ليس شكا جزئيا يمكن اعتباره على أنه شك منهجي بل هو شكا كليا وفي هذا يقول :<<أما الشك فلسنا نوافق عل أنه فرض منهجي ، إذ لكي يكونالشك كذلك ، يجب أن يكون صوريا جزئيا ، وديكارت يشك حقا في كل شيء ، فيصبح شكه حقيقيابالضرورة، إنه يصرح بأن ليس هنا شيء إلا ويستطيع أن يشك فيه على نحو ما، فلو أنه قصور الشك على الأمور غير البينة المفتقرة إلى البرهان ، واستثنى المبادئ الأولية البينة بذاتها ،لأمكنه

الاستناد على هذه المبادئ للخروج إلى اليقين ، لكنه يشك في العقل ذاته ، فشكه كلي حقيقي يمتنع الخروج منه >>[2].

وما يمكن أن نستنتجه من قول يوسف كرم على أن ديكارت شكه حقيقي كلي لأن شكه شمل كل شيء حتى في العقل الذي كان محل ثقة لديه ، فيرى أنه لواقتصر شكه على الموضوعات المبهمة والغير الواضحة والتي تحتاج إلى برهان لا استطاعالخروج من هذا الشك لكن ديكارت أبحر في الشك في كل شيء ، فإن شكه حقيقي فلم يترك أي شيء إلا وجعله موضوع شك وهذا ما أكد عليه ديكارت نفسه، بحيث يرى أنه يجب أن نخضع كل شيء للفحص ولو مرة واحدة ، و وجود شيطان مخادع يظلنا ويخدعنا [3].

*** البير بابيه :عالم إجتماع ومفكر معاصر ، جنسية فرنسية .

[1]) - عبد الوهاب جعفر ، أضواء على الفلسفة الديكارتية ،ص 62

**** يوسف كرم:(8 ديسمبر1886 - 28 ماي 1959م)،هو مفكر ومؤرخ وفيلسوف مصري وهو يعد واحدًا من أبرز مؤسسي الفكر الفلسفي في الوطن العربي، وتعد كتاباته علامة فارقة في أدبيات الفلسفة باللغة العربية.

[2]) - محمد حسن مهدي بخيت ، ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت ،ص 67

[3]) - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 75

- **هويدي*** : كما نجد من بين الذي علقوا على الشك الديكارتي الدكتور"هويدي" تارة يمجده وتارة يذمه بحيث نجده يقول في هذا الصدد:<< إننا لكي نفهم الأساس الذي قام عليه الشك الديكارتي ، علينا أن نربطه بالإرادة لا بالعقل .فهو شك إرادي وليس عقليا>>[1]

وما يقودناهذا القول أن ديكارت أن شكه ليس عقليا حسب هويدي ، بل هو مرتبط بالإرادة وذلك أنه عند ما نخطئ فليس الخطأ مصدره العقل بل الإرادة ، وأننا عند ما نشك فإننا نشك بمحض إرادتنا ، و يصبح الشك ليس صادرا عن العقل بل الإرادة ، وبهذا فإن المنهج الديكارتي في الشك هوشك مرتبط بالإرادة وليس مرتبط بالعقل كما يدعي ديكارت، غير أنه هناك من يؤكد أن شك ديكارت هو شك منهجي وهو شك مؤقت وليس شكا مطلقا كما نجده عند الشكاك وهذا ما أكد عليه هويدي حينما يمجد المنهج الديكارتي معلقا عليه بقوله : << أنه النموذج الصحيح للشك الفلسفي بمعنى الكلمة ، وهو يمثل خطوة أساسية من الخطوات الموقف الفلسفي>>[2]

وما يمكن أن نستشفه من قول هويدي أن الشك هو براد يغم التفكير الفلسفي ومرحلة ضرورية من مراحل تقصي الحقائق ، وهنا يمكن اعتبار أن شك ديكارت شك منهجي وليس شكا مذهبيا ، وشتانا بين المذهب الذي يهدم المعرفة و الذي يبني المعرفة.

طه عبد الرحمان* : الذي ينقد ديكارت في فكرة العقل ، اذ يعتبره قد غالى في تمجيده للعقل حتى اعتبره شيء مقدس وذلك أنه يعتبر العقل هو الوحيد القادر للوصول الى المعرفة والسلطة المطلقة في بناء معارف موثوق بها ، غير أن العقل عاجز في بعض الأحيان في إدراك المعارف وهو مخادع مثله مثل الحواس ، كما أن ديكارت يرى أن الإنسان مجرد عقل فقط، فالإنسان ليس عقلا وإنما عقل وجسم ،بمعنى ليس الإنسان عقل بل هو عواطف ، وأهواء ، وشهوات ، وعليه نرى تأثر ديكارت بالمثالية الأفلاطونية ، غير ان الدين الإسلامي نظر إلى الإنسان من جانبين عقل وقلب وليس عقلا فقط [3]

---

* هويدي: كاتب وأكاديمي وأستاذ فلسفة مصريمعاصر

[1]) - محمد حسن مهدي بخيت ، ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت ،ص 69.

[2]) –المرجع نفسه ، ص 67

* طه عبد الرحمان: (1944 بالجديدة)، فيلسوف مغربي، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق. ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي

[3])- طهعبدالرحمن،العملالدينيوتجديدالعقل،المركزالثقافيالعربي، الدارلبيضاءالمغرب ،ط2 ،،1997 ، ص 58 .

ملخص الفصل

منخلالالدراسةالتحليلية لهذا الفصل ،توصلنا البطبيعةالشكعندديكارت ، والى ادراكأهميةالشكفيفكرديكارت ،وعلىمختلف الخطواتالمنهجيةالتيكانتأساسالفلسفته،واستطعناأننستخلصمجموعةمنالنقاط و هي:

– دعا ديكارت إلى التحرر من الأحكام المسبقة والأوهام والخيالات والتقليد من أجل الوصل لمعرفة يقينية

– اعتمد وديكارت على منهج أساسه الشك المنهجي. وتجلي ذلك في التخلي عن المناهجالموروثة ورفض تعدد الحقائق والبحث عن حقيقة واحدة جلية

– ارتبط الشك المنهجي عند وديكارت بتجربة شخصية وجهد شخصي وتأمل فلسفي.

– المنهج كان مركزيا في فلسفته وكان وثيقة الصلة بالعلوم والحقيقة بشكل عام .

– وضع قواعد منهجية يجب إتباعها لبلوغ اليقين، وهي أربعة: 1) قاعدة البداهة واليقين،. 2) قاعدة التحليل، 3) قاعدة الترتيب والتركيب 4) قاعدة الإحصاء،

– الحدسوالاستنباطعمليتينأساسيتينلكشفالحقائقوكلذلكمنأجلالوصولإلىمبدألايكون موضعشك

– الحل الذي اقترحه ديكارت للخروج من الشك يكمن في الحقيقة البديهية الواضحة والمتميزة والتي صاغها ديكارت <<أنا أفكر فأنا موجود"، فالكوجيتو الديكارتي قائم على الأنا المفكرة

– تدرّج ديكارت من الشك إلى اليقين . وهو يثبت وجود الفكر أولا ، ثم ينتقل لإثبات وجود الله . وتستند فلسفته إلى ثلاث مراحل : مرحلة الانتقال من الشك إلى اليقين ، مرحلة الانتقال من النفس إلى الله ، ثم مرحلة الهبوط من الله إلى العالم .

الفصل الثالث

الفصل الثالث: مقارنة بين الشك الغزالي والشك الديكارتي

تمهيد

المبحث الاول: أوجهالتقاربوالتشابهبينالشكين لكلمنالغزالي وديكارت

المبحث الثاني:أوجهالتباينوالاختلافبينشككلمنالغزاليوديكارت

المبحث الثالث :العلاقةبينالشكالغزاليوالشكالديكارتي

خلاصة الفصل

بعد عرضنا لطبيعة الشك عند ابو حامد الغزالي في الفصل الاول ، ولطبيعة الشك عند رينيه ديكارت ، واذا سلمنا قبلابالبعد الزماني والمكاني بينهما ، ومع إختلاف البيئة التي عاش فيها كلاهما ،كون الأول يعيش في بيئة شرقية إسلامية، غير بيئة ديكارت الذي نشأفي بيئة أوروبية مسيحية ، إلا أن المتمعن والباحث والقارئ في كتبهما و مؤلفاتهما ، قد تبدو له الكثير من مواطن التقارب الفكري والمنهجي ، لذا نتساءل ماهي أوجه تشابه والإختلاف بينهما ؟ وما طبيعة العلاقةبينالشكالغزاليوالشكالديكارتي؟

المبحث الاول:مواطن و أوجهالتقاربوالتشابهبينشككلمنالغزالي وديكارت.

عند الامعان وفحص مؤلفات كل من ابو حامد الغزالي ورينيه ديكارت ، اتضحت لنا العديد من نقاط الالتقاء والتشابه من جوانب معينة ، بدت لنا في :

اولا : الاقرار بوجود الحقيقة

وكانديكارتوالغزاليشريكينفيا لإقراربوجودالحقيقةولكنهماكانايرونبوجوباتباعمنهجالشك فيالبحثعنها ،فـ "الشكالفلسفيلديهماقدأعلنعننفسهبوضوحفيوقتمبكرمنفترةالشباب ،

كمارأيناأنهقددفعهماإلىالسعيإلىاستقلالعقلي ،وأنميلهماهذاقدازدادنتيجةللحالةالعقلية السيئةلعصريهمابماتشتملعليهمنآراءمتضاربةوتعاليممتناقضة.

مماأدىإلىتقويةالشكلديهمافي حقيقةالمناهجالموروثة .

ولهذااتجها (معتمدينفقطعلىوعيهمابضرورةوجودحقيقةواحدةمطلقة)إلى مهمةالبحثعنالحقيقةالحقة،وبدأ عمليةالتفرقةبينالحقوالباطلوالصوابوالخطأفيهذهالاتجاهات والمذاهبالقائمة ، وبهذاتوفرلديهماالمنطلقالحقيقيللتفلسف :وهوالاعترافبوجودحقيقةواحدة مطلقة ،والبدءبطريقةجادةفيالبحثعنها ،رغمكلالصعوباتالتيتكتنفهذهالمهمة ،معالاقتناع الثابتبإمكانالتوصلإلىمعرفةهذهالحقيقة[1] .

ثانيا : طريقالبحثعنالحقيقة

بعدالإقراربوجودحقيقةوواقعيتمالانتقالإلىالخطوةالثانية،وهيطريقالبحثعنالحقيقة .فإنهاتتعلق بالسؤالعنالمعيارالذييمكناتخاذهفيعمليةالفحصوالتمييزبينالحقوالباطل،لذلككانالشك نقطةبدايةوبحثلكلمنالغزاليوديكارتعلىالسواء ،فقدكانديكارتيقول" ينبغيلنا ،كينقيّم العلومعلىقواعدثابتة . أننرفضكلآرائناالقديمة ،مرةفيحياتنا "[2]

[1]- محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت،ص81 . .
[2]- يوسفكرم، تاريخالفلسفةالحديثة ،ص 65.

لكيتكونمعتقداتنامبنيةعلى أسسسليمةومنهجيةمعقولة ،فكانهمُّكليهماهوالبحثعن العلماليقينيبشكلدائموالذيعبر عنهالغزاليبقوله:<<العلماليقينيهوالذييتكشففيهالمعلومانكشافالايبقىمعهريب ،ولايقارنهإمكان الغلطوالوهم>>[1]

إذاتتبعناأهميةمنهجالشكفيمؤلفاتالغزاليفإنناسنستطيعأننتبينأنهقددعامنذالبدايةإلىالاستقلال العقليإزاءفحصكلالآراءالمذهبيةوالطائفيةالتيواجههافيعصره،مسايرابذلكطبيعتهاالعقليةالخاصة وتطورهاالشخصي ،ولكنهأعطىهذهالدعوةفيبادئالأمرفيصورةإشاراتعامةقصيرة ،وذلكقبل عرضهممارسةالشكبطريقةمنهجية .فنراهيتحدثعنأهميةالبحثعنالحقيقةبحثامجردا غيرمسبوق بأحكاممعينة،وذلكفيمناسبةحديثةعنالتقليدالمزدوجمنجانبمنيسمونبالعلماءالذينلم يفارقوالعوامفيأصلالتقليد،بلأضافوإالىالتقليدالمذهبتقليدالدليل،ثميقول:<<وإنماالحق ...هوألا يعتقدالمرءشيئاأصلا،وينظرإلىالدليلويسميمقتضاهحقا،ونقيضهباطلا ."[2]

أماديكارتفيتحدثعنأنهلكلعلممبدأ ،فأيننلتمسالمبدأالذينقيمعليهالعلم ؟إنعقلنامشحون بأحكامألفناهافيعهدالطفولةأوقبلناهامنالمعلمينقبلتماماالنضجوالرشد .وإذامانظرنافيالعلوم تكونتوتضخمتشيئافشيئابتعاونرجالمختلفين ،فجاءتكالثوبالملفقأوالبناءالمرمم ،فإذاأردنا أننقررشيئامحققافيهذهالعلوم ،كانمنالضروريأننشرعفيالعلمنجديدفنطرحكلمادخل فيعقولنامنمعارف ،ونشكفيجميعطرقالعلموأساليبها[3] ،وهكذايقررالمفكرانمبدأالشككمبدأ موصلإلىالحقيقةواليقينويبدأنمنبعدذلكتقريرحركةالشكبينالعلوموكيفيةالشكوكيفيةالخروج منالشكإلىاليقين.

ثالثا : رفض كل تقليد :

منالناحيةالإجتماعيةنجدأنكلامن الغزاليوديكارتعاشفيعصرشهد اضطراباتعقليةومذهبيةوتدنيالمستوىالفكريوركوده،وعجزالفلاسفةعنتقديم المساعدةلأنهملميكونوايملكونالاستقلالالعقليالمطلوببلكانوامجردمقلدين[4].

ولهذاكانمنالضروريأنيضعكلمنالغزاليوديكارتأمامعينيهمهمةتجديدالفكرومحاربة

[1] - محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت،ص 83 .
[2] - المرجعنفسه،ص 84
[3]- يوسفكرم: تاريخالفلسفةالحديثة، ص 69 .
[4]- محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت،ص45 .

التقليدوالإلحادالذيكانمنتشرافيعصرهما

،حيثكانيشيرإلىأهميةتحريرالمرءلنفسهمنالميلإلىالتبعيةالعقليةوهكذاتستطيعالقولأنالإستقلالالعقليكانالمسلمةا

لأوللفلسفتهما.

أمافيمايخصالناحيةالفكريةفنجدأنكلامنالغزالي

وديكارتيشتركانفيالطريقةالفلسفيةالحقيقيةالتيبواسطتهاتوصلافيالنهايةإلىالحل

،فالإجابةعنمسألةالحقيقةلايمكنأنتوجدإلاعلىأساستأملفلسفيحقيقي

،حيثيرىالغزاليأنالشكفيجميعالمعارفالتييتلقاهاالإنسانعنطريقالتقليدأمرضروريأثناءالتطورالعقلييعتبرالشكوسيلةللوصولإلىالحقيقةوكثيرامايشبهالغزاليفيمواضيعكثيرةمنكتبهالمقلدبالأعمىفيقولعلىسبيلالمثال:

<<ومنقلدأعمىفلاخيرفيمتابعةالعميان>> ، وفيهذاالصددقولديكارتأيضا:

<<انالإنسانالذيلايتفلسفبإنساناليستخدمعينيهعندالمشيبليغمضعينيهويسترشدبشخصآخر>>[1] .

فأهمالسماتالتيتميزكلمنفلسفةالغزاليوديكارتتتمثلفيالتحررمنكلتبعيةعقلية،ونجدأيضاأنكلمنهماإعتمدعلىالشكا

لمنهجيللوصولإلىالحقيقةمعتمدينعلىوعيهمابضرورةوجودحقيقةواحدةمطلقة،فلقدإتبعاأسلوبالشكالمنهجيبإعت

بارهمنهجبفترضهصاحبهبإرادته،فهووسيلةوليسغايةوهوخطوةمهمةللوصولإلىاليقينفلقدإتفقكلمنهماعلىأنالشك

المنهجيهوالمبدأالأمثلللتحرر

وقد بدأ ديكارت شكه ورفضه لكل تقليد سواء الفلسفة الكلاسيكية أو الفلسفة السكولائية ،محاولا إحداث قطيعة مع كل تقليد ونبذكل ماهو قديم لبناء صرح جديد للمعرفة عن طريق الشك ،كما أن ديكارت لم يكن شكه مطلق ، مما يعني شك من أجل الشك بل كان شكا منهجيا يفرضه المرء بإرادته على نفسه ، وهو شك مؤقت ، وهذا مايعرف بالمنهج ، وذلك أنه ليس شك لأجل الشك لايمكن بلوغ معه اليقين بل هو شك مؤقت و ليس مطلقا[2]، و قد بدأت مسيرة ديكارت في الشك في كل ماورثه ، وشكه كان منذ صغره وهذا يؤكد عليه من خلال قوله :<< ، أني تلقيت طائفة من الآراء الخاطئة، ظننتها صحيحة . ثم اتضح لي أني ماتبينته بعد ذلك على مبادئ. تلك حالها من الاضطراب لايمكن أن يكون إلا امرءا يشك فيه>>[3]

[1]) - ابرهيممصطفىابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الاسكندرية مصر، د ط ، 2001 م،ص49.

[2]) -محمدحسنمهديبخيت ،ظاهرةالشكبينالغزاليوديكارت،ص55 .

[3]) - رينيهديكارت،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى،ص2 .

وما نستشفه من هذا القول وهو أنه بدأ شكه منذ صغره وذلك أنه كان يعتقد على أنه على حق لكن بعدها تبين له أن هذه الأفكار التي تلقها غير صحيحة وتبينت على أنها خاطئة، وهنا يشير ديكارت إلى الأفكار التي تلقها من مدرسة "لافليش" التي درس فيها وأخذ منها العلوم على أنها حقائق صادقة ، وما ورثه من الكنيسة من تعاليم دينية.

وهذا مانجده عند الغزالي ايضا بحيث نجده يرفض الفكر القائم على التقليد وهو يمثل المشكلة الكبرى لعصره ولهذا رأى من واجبه مكافحة كل أشكال التقليد [1] ،مما يعني أن الغزالي يرى من واجبه النهوض بمجتمعه الذي أصبح يعيش حالة مزرية ولايكون ذلك إلا بمنهج قويم ، كما يؤكد على أنه يجب فحص كل المعارف التي كانت شائعة في عصره والتي تلقها من بيئته – سواء – المجتمع أو غيره وأرجع هذا التخلف إلى التقليد الأعمى وإلى منهج عام يقبل كل الآراء دون تمحيص ونقد للأفكار ، ولذلك يعتبر الشك وسيلة الموصلة والطريقة المؤدية إلى اليقين بحيث يقول في هذا الشأن :<< من لم يشك لم ينظر ولم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى في العمى والظلام>>[2]

وهنا نجد التشابه بين ديكارت و الغزالي الواضح والجلي ،فديكارت أقام ثورة على كل تقليد ، وهذا مالاحظناه ايضا عند الغزالي

رابعا: مراتب الشك والشك في وسائل المعرفة

واذاتطرقنا إلىمراتبالشكالتييمربهاكل

منالغزاليوديكارت،فنقولأنهماإنتقدا المعرفةالحسيةحيثلميستطعكلمنهماالوصول

إلىإجابةكافيةعنسؤالهماالذييتعلقبحقائقالأشياءالتيوضعوهاموضعشكلأن

المعارفالتينتوصلإليهاعنطريقالحواس ،تبدولنافيالظاهرمعرفةمباشرةوسهلة الفهم

،فيحينبعدذلكيتضحعكسذلكلأنالتجربةتبينماتنطويعليهمنأوهام ، وضلالات ،وذلكماذهبإليهالغزالي

وديكارتحيثاعتباراالحواسخادعة ،لهذالميسلمابها

كوسيلةللوصولإلىالحقيقةبعداكتشافكلمنالغزاليوديكارتخداعالحواسكانلابدمن

الإنتقاللفحصمدىيقينالمعارفالعقلية ،التيكانتتبدوفيالبداية غيرقابلةللشك

وهو ما تحدثعنهاالغزالي فيقوله: <<فلعلوراء ادراكالعقلحاكماأخرإذاتجلىكذبالعقل

[1]) - محمدحسنمهديبخيت،ظاهرةالشكبينالغزاليوديكارت،ص 33 .

[2]) -المرجع نفسه ،ص48 .

في حكمهكماتجلبحاكمالعقلفكذبالحسفيحكمهوعدمتجلبذلكالإدراكلايدل إستحالته[1]،وهذاالقوليوضحلناأنالغزاليشككفيكلمنالحسوالعقلوهذاماجعلدائرة شكوكهتزيدإتساعالأنهسحبثقتهمنالمعارفالحسيةوالعقليةوهوالأمرنفسهعند ديكارت.

والبناءالأساسيلحركةالشكعندالغزاليوديكارتبناءواحد،فنحننتبينعندكلمنهمامراتبمتعددة للشكوهي : الشكفيالمعرفةالحسيةثمالشكفيالمعرفةالعقليةالأوليةثمفيالنهايةالشكفيالواقعكله علىالإطلاق،ومايتصلبذلكمنحجةالمنام،وتصورشيطانخادعأوإلهمضل ،إنهاالشكالمطلق فيكلشيءوفيمعرفةكلشيء،وفوقذلكفيالوجود .إنهاالشكالذيلايبقىفيأثناءالشكإلا علىالشاكنفسهفقط[2].

وهناتبعالغزاليوديكارتنفسالخطوات ولكنبمنهجمختلف عن الشكاكونالقدماء الذينأنكروالمعرفةبشكلكلي،فالغزاليوديكارتفقدحاولوا الخروجمنهذاالمأزقالمعرفي ، يقولديكارت : <<فأناأشكفيالحواس،لأنهاخدعتنيأحيانا،ولعلهاتخدعنيدائماوليسمنالحكمة الاطمئنانإلىمنخدعناولومرةواحدة .وأناأشكفيالاستدلالالعقلي،لأنالناسيخطئونفي استدلالهم ،ومنهممنيخطئفيأبسطموضوعاتالهندسةفلعليأخطأدائمافيالاستدلال،ومندواعي الشكأيضاأننفسالأفكارتخطرليفيالنومواليقظةعلىالسواء،ولستأجدعلامةمحققةللتمييز بينالحالتين،فلعلحياتيحلممتصل،أولعلاليقظةحلممنسق>>[3]

بنفسالمنطقيبدأالغزاليشككفيالمعارفالحسيةوقدرةالحواسعلىمعرفةالحقائقويتحولالغزاليمن هذهالمعارفالحسيةلكييبحثعنمدىيقينالمجموعةالثانيةمنالمعارفوهيالمعارفالعقليةالأولى، فبعدأنبينأنالمعارفالحسيةقابلةللشكأرادأنيختبرالمبادئالعقليةفيمدىشرعيتها،ولأولوهلة يبدوأنأوليةويقينيةالمبادئالعقليةالأولىأمرغيرقابلللشكإطلاقا .

وهذامايعنيهالغزاليحينيتساءل<<:منيستطعجاداأنيشكمثلافيالحقائقالرياضيةوالمنطقيةمثلأنالعشرةأكثرمنالثلاثة،وأنالشيء لايمكنأنيتصفبصفتينمتضادتينفيوقتواحد>>[4] ،

ولكنالغزاليوعلىالرغممنصعوبةالشكفيتلكالأولياتفقدانتهىإلى

الشكفيها،وبالتاليبماأن الحسغيرقادرعلىتقديممعرفةسليمة،وكذلكالعقللايمكنهالخروجمنهذهالدائرةالمغلقة ،فقدوقعنافيواقعالضلال،فلميعدهناكإمكانيةللمعرفةأصلاوهكذايصبحواقعالضلالوالخطأبالنسبة

[1])- أبوحامدالغزالي ،المنقذمنالضلال،ص87.
[2]) - محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت،ص86 .
[3]) - يوسفكرم ، تاريخالفلسفةالحديثة،ص70 .
[4])- محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت ،ص88.

لديكارت كماهوبالنسبةإلىالغزاليدافعاإلىالشك، و
يبدولناأنااللهقدأنقذالغزاليوديكارتمنالوقوعفريسةللسفسطة،ففيالنهايةالاثنانقدنجحافي
العبورمنمنطقةالشكإلىمنطقةاليقين

خامسا: الشك في الحواس

كما أن ديكارت شكك في الحواس، نجد الغزالي كذلك رفض دور الحواس في تبرير المعرفة اليقينية (أي اليقين المطلق) وأن الحواس مظلة وخادعة ويضرب لنا الغزالي هنا عن أغلاط الحواس فحين ما تنظر الحاسة إلى ذلك الشيء مثلا الشمس نراها صغير جدا وأن الكواكب يبدوا لها وكأنها دنانير منشورة على بساط ازرق في حين أن العقل في براهنه يعرف أن القرص الشمس أكبر من الكرة الأرضية ، وأن الكواكب أكبر مما تبدوا لنا[1] ،وبهذا المثال يتضح لنا أن الحواس خادعة ولابد من الشك فيها .

كما يواصل ديكارت رحلته في الشك فبعدما انتهى رفضه لكل موروث وكل تقليد لجأ ديكارت إلى الشك في الحواس والأسباب المؤدية إلى رفضه إلى شهادة الحواس ففي هذا يقول ديكارت :<<كل ما تلقيته حتى الآن،على أن اصدق الأمور واوثقها قد اكتسبته بالحواس أو عن طريق الحواس ، غير إني وجدت الحواس خداعة في بعض الأوقات ،ومن الحكمة الا نطمئن أبدا كل الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو مرة واحدة>>[2].

ونستنتج من هذا القول أن ديكارت يرفض شهادة الحواس وذلك لأنها مخادعة ولا تؤدي بنى إلى المعرفة اليقينية فهولا يطمئن للحواس بمقتضى أن الحكمة تقتضي عدم الثقة لمن خدعنا ولو مرة واحدة فمثلا عندما تنظر إلى القمر من بعيد يبدو صغيرا لكن في الحقيقة هو عكس ذلك ، وعليه تكون الحواس خادعة .رفض ديكارت دور الحواس والتجربة في عملية إدراك المعارف هذا لايعني أن ديكارت ينفي التجربة بل يجعلها وسيلة من وسائل الإدراك ، وبذلك شك ديكارت في كل ما عرفناه وما نعرفه عن طريق الحواس ، عندما يصور لنا ديكارت في كتابه " التأملات في الفلسفة الأولى" في التأمل الأول على أننا لا نستطيع التمييز بين الحلم واليقظة في كثير من الحالات ، لذا

[1]) - محمدحسنمهديبخيت،ظاهرةالشكبينالغزاليوديكارت،ص32 .
[2]) - رينيهديكارت،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى،ص21 .

وجب علينا أن نخضع كل شيء إلى الشك ولو مرة واحدة في حياة الإنسان ، ويتبين لنا من خلال هذا أن ديكارت يرفض كل معرفة التي نكتسبها عن طريق الحواس باعتبارها خادعة لايتأنى معها اليقين والثقة في المعارف والعلوم

وهنا نكاد نرى اتفاق ديكارت والغزالي ، في رفضهما للحواس في الوصول إلى المعرفة اليقينية والصادقة،ويصبح الشك أداة ضرورية لكل باحث يريد أن يصل إلى معرفة يقينية ،إذ لابد منإتباع الشك المنهجيوليس أي شك ، فلكي يضمن الباحث عن الحقيقة عدم الزلل في المغالط والأخطاء لابد من منهج محكم ،والشك المنهجي يعرف على أنه منهج يفرضه صاحبه بإرادته ويلزم به نفسه ، رغبة منه في امتحان معلوماته واختبار معرفته وتطهير عقله من كل مايحويه من مغالطات وأضاليل[1].

خامسا :الشك في العقل:

بعد ما شك ديكارت في كل من الحواس ورفض كل تقليد ذهب شكه إلى العقل الذي كان محل ثقة عنده ، حيث شك في استدلالات العقل وقدرته للوصول إلى المعرفة ، ويبرر موقفه من الشك في العقل بقوله: <<من الناس من يخطئون في التفكير حتي في ابسط أمور الهندسة>>[2] ،وما نستشفه من هذا القول أن الشك عند ديكارت وصل به إلى الشك في العقل ،فهناك من يخطئون في أمور تكون في غاية الجلاء والوضوح ، وهذا مادعى ديكارت إلى الشك في إستدلالات العقل .

وهذه الفكرة نجدها ايضا عند الشيخ حجة الإسلام " الغزالي" ، فقد شك هو الآخر في دور العقل في بناء البراهين والإستنتاجات التي تؤدي بنا إلى المعرفة اليقينية والموثوق بها ،وأراد الغزالي البحث عن علم يقين لاريب فيه.

يقول في هذا الصدد :<<فقلت في نفسي :أولا إنما مطلوبي العلم وبحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهي ؟ فظهر لي أن علم اليقين هو : الذي ينكشف فيه المعلومانكشافا لا يبقى معه ريب>>[3] ،نستنتج من خلال قول الغزالي أنه يبحث هو الأخر عن علم ينكشف انكشافا أي(يظهر جليا و واضح دون غموض أو التباس) بدون ريب أوشك .

سادسا :الشك في الاحلام والحياة الشعورية

كانت العوامل التي ساعدت على تقوية الشك وتأصيله في نفس كل من الغزالي وديكارت اغلبها

[1] - محمدحسنمهديبخيت،ظاهرةالشكبينالغزاليوديكارت،ص26.
[2] - رينيهديكارت،مقالعنالمنهج،ص149 .
[3] - الغزالي،المنقذمنالضلال،ص8 .

واحدة، وهنا نجد منها ظاهرة الأحلام ، يقول ديكارت : <<أني أرى في أحلامي عين الأشياء التي يتخيلها هؤلاء المخبولون في يقظتهم ، بل قد أرى أحياناً أشياء أبعد عن الواقع مما يتخيلون ، كم من مرة وقع لي أن أرى في المنام أني في هذا المكان وأني لابس ثيابي وأني قرب النار، مع أني أكون في سريري متجرداً من ثيابي .. ولكن عندما أطيل التفكير في الأمر أتذكر أني كثيراً ما انخدعت في النوم بأشباه هذه الرؤى، وعندما أقف عند هذا الخاطر أرى بغاية الجلاء أنه ليس هناك أمارات يقينية نستطيعبها أن نميز بين اليقظة والنوم تمييزاً دقيقاً فيساورني الذهول، وأن ذهولي لعظيم>>.

فيبدوا واضح أن ديكارت دعم شكه بما يراه النائم في نومه يكاد يصل إلى اقتناع بأنهحقيقي و مؤكد[1] ، فيخيل إليه أنه يحدث بالفعل، وحينما يستيقظ يدرك تمام الإدراك أن ما رآه وهم وخيال، وأن لا شيئاً مما فعله ورآه في نومه كان في نطاق الحقيقة [2] .

وتظهر ايضا عندالغزالي فيالصورةالتاليةبقوله:<<وأيدت(المحسوسات)إشكالهابالمنام ، وقالت : أماتراكتعتقدفيالنومأمورًاوتتخيلأحوالاً ،وتعتقد لهاثباتًاواستقرارًاولاتشكفيتلكالحالةفيها،ثمتستيقظ فتعلمأنهلميكنلجميعمتخيلاتكأصلوطائل>>[3] ، فالغزاليهنايتأملفيحالةالرؤيا،حيثتنخفضفيها قدرةالإنسانعلىالمعرفة ،فالوعييكونمعزولاً ،ويصير النائمخاضعًالمايحدثفيأثناءالرؤيامنتخيلاتمعتقدًا أنهاحقائق ،ويعرفابتداءًفيحالةاليقظة(أيبعداستعادة الوعي)أنهذهالتصوراتلمتكنإلاخيالاتوأوهامًا[4] .

سابعا : قواعد المنهج:

اعتبر ديكارت أن الوصول إلى معرفة جميع الأشياء يتطلب امتلاك طريقة أو منهج، يعتمد قواعد يقينية، ويبدأ بدراسة الأمور البسيطة والمنظمة، لينتهي إلى معرفة الأشياء المعقدة والصعبة مما يؤمن عملية المعرفة ويصون ويحمي الذات من الوقوع في الأخطاء. وقد انطلق ديكارت من الإقرار بضرورة اتخاذ الحيطة والحذر وعدم التسرع في إصدار الأحكام التي لم تستمد من العقل، وانتهى من خلال دراسته لعدد من العلوم والفلسفة إلى استنباط أربعة قواعد منطقية ، وهي:

1-ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق ما لم أعرف يقينا أنه كذلك.

---

[1])- فيصل بدير عون ، الفلسفة الإسلامية في المشرق ، مكتبة الحرية الحديثة، حلوان مصر ، د ط ،1982 ، ص 459

[2])- يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، ص 295 .

[3])-الغزالي ،المنقذمنالضلال،ص 72.

[4])-محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت، ص 181 .

2- أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع وبقدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه .

3- أن أسير أفكاري بنظام بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلاً قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها ترتيباً.

4- أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملةما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا [1] .

وهذا الذي هدف إليه ديكارت هو ما هدف إليه الغزالي من قبل ، الذى وضع قواعده الأربع[2] :

أولها قاعدة البداهة واليقين، فقال: <<إن العلم اليقيني هو الذي يكشف فيه العلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم>>.

وثانيها، قاعدة المراجعة التي تدعو إلى التأكد من أن الباحث لم يغفل أي جانب من جوانب القضية التي يريد أن يحلها، ويكون على يقين لا سهو فيه ولا غلط ولا التباس فيكون آمناً مطمئناً قاطعاً لا يتصور أن يغير فيه رأيه بعد تيقنه ولا أن يطلع على دليل غاب عنه فيغير به اعتقاده .

والقاعدة الثالثة هي قاعدة عدم التناقض. وتدعو إلى معرفة سبب وقوع التناقض . يقول الغزالي: <<التناقض في البراهين الجامعة للشروط التي ذكرناها محال ، فإن رأيتها متناقضة فاعلم أن أحدهما أو كلاهما لم تتحقق فيه الشروط المذكورة فتفقد مظان الغلط و المثارات >>

والقاعدة الأخيرة قاعدة الثقة : وهي تدعو إلى ثقة كاملة من الحكم وتيقنه. فلا تردد فيه للدفاع عنه مهما بلغ المعارض من الدرجات العالية ،لأن العقل يستطيع الوصول إلى اليقين ما دام علىفطرته السليمة[3] .

ويذكر الغزالي ثلاثة أسباب للفكر الخاطئ تعكر صفو العقل وتحجب عنه رؤية الحقيقة [4] ، وهي : الوقوع تحت سيطرة المحسوسات، أو الخضوع للمظنونات ، أو الاهتمام بأغراض الجدل والانصراف عن البحث الجدي عن الحقيقة ، ويؤكد الغزالي على ضرورة تطهير النفس من كل الصفات الخبيثة إذا أراد المرء الوصول إلى علم حقيقيأما عن نظرته العلمية المنهجية فقد نثرها على صفحات كتبه ليوصى بمنهاج النظر السليم ، و يحدد لنا أسباب الأخطاء في العلوم ويمهد لنا

---

[1]) - رينيهديكارت،مقالعنالمنهج،ص(190-192) .

[2]) - يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، ص 296 .

[3])- السيد محمد عقبل المهدلي ، المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت للوصول الى الحقيقة ، ص 132.

[4]) - يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، ص 297 .

الطريق لتحاشيها ، باستناد الباحث إلى الأوائل الجلية والسير من البسيط إلى المركب ، ولا يخطو خطوة في بحثه إلا إذا محص الخطوة السابقة [1] .

المبحث الثاني :أوجهالتباينوالاختلافبينشككلمنالغزاليوديكارت.

منخلالماعرضناهفيمايخصالشكعند الغزالي والشكعنديكارتموضحينانقاطالتقاربوالتشابهلكلمنشكالغزالي والشكالديكارتينرىأنهذهالنقاطلاتعنيبالضرورةأنهلايوجداختلافبينكلمنهماتخذطريقةفلسفيةخاصةبهللتغلبعلىذاالشكالفلسفي،ولعلمنأهمنقاطالاختلافمايلي:

منالناحيةالاجتماعية :لقدأشرنافيماسبقأنهناكنقاطتشابهبينكلمنعصرالغزاليوديكارتعلىالعموم ،إلاأنهناكفروقاأساسيةبينكلمنالعصرالذيعاشفيهالغزالي والعصرالذيعاشفيهديكارت،تلكالفروقتعملدورا كبيرافياتخاذكلمنهماطابعاخاصابهيظهربوضوحفيطريقةتفكيرهمافبالنسبةلعصر الغزاليفلقدكانمزدحمابمشكلاتدينيةمتعددة ،فظهرتاتجاهاتمختلفةدينيةكانتأوفلسفية ،وقدكانالفكرعندهمقائماعلىالتقليدوهذاماشكلمشكلةكبيرةفيعصر الغزالي ،لهذاأرىأنهمنالضروريمحاربةومكافحةكلأشكالالتقليد

،أمافيمايخصعصرديكارتفقدإتسمبوجهخاصبالاكتشافاتالهامةفيمجالالعلوموشروحها .

- **منالناحيةالفكرية** :نجدأنكلمنالغزالي وديكارتاتخذنفسالطريقللوصولإلى المعرفةالصحيحة ،وذلكباتخاذهمالشكالمنهجيكوسيلةإلاأننانجدكلمن الغزاليوديكارتتوصلإلىحللأزمتهبطريقتهالخاصة ،فالغزالي انتهيمنأزمتهالفكريةالتيأدتبهإلىالشكالمطلقوجعلتهيشككفيكلمنالحسياتوالعقلياتالتيوصفهابأنهامرض ،فلقدخرجمندائرةشكوكهالواسعةعنطريقالصوفيةالتيجعلتهيخرجمنشكهوعادتمنخلالهاالنفسإلىالصحةوالاعتدالوذلكبنورقذفهاللهتعالىفيالصدرعلىحسبوجهةنظره،وذلكالنورهومفتاحأكثرالمعارفومنخلالهذانستنتجأنالغزالي توصلإلىاليقينواستطاعالخروجمنشكهعنطريقالحدسالصوفي[2].

أمابالنسبةلديكارتفلقدتوصلإلىفكرةيقينيةمسلمبهاوهيأنهموجود ،بعدمامارسالشكووصلبهالأمرإلىالشكالمطلق ،وكذلكرغمالضلالالذيكانفيه

[1]-محمودحمديزقزوق ، المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت، ص 78 .
[2]- ألغزالي , المنقذمنالضلال, ص 82 .

،حيثتوصلإلىقضيتهالمشهورة<<أناأفكرإذنأناموجود>>التيسميهابالمعرفةالأولى ،حيثرأىأنقضية<<أناكائن ،أناموجود>>صحيحةماداميفكرفيها ،ويعتبرأيضاماداممتأفكرأناموجودومتى انقطعتعنالتفكيرانقطعتعنالوجود ،ويعتبرأنالمعرفةالأولىهيمعرفةواضحة،ومتميزةجدافهوصادق ،وهذهالمعرفةلاتستطيعأنتنتجالحلمنذاتهاوإنماواجبهافقطهوعزلكلالمعارف ،ونجدأننتيجةالبحثالتتوصلإليهاديكارتإنماهيمعرفةمدركةإدراكامباشراوتلكهيمعرفةوجودالله،وليستنتيجةبرهانعقليمنطقي ،كمالايمكنأنيبرهنعليهامنطقيا،ويعتبركذلكأنمعرفةوجوداللهمتميزةوواضحةمثلالكوجيتو .

ولقدتوصلديكارتإلىمصدرالحقيقةوهوالله ،حيثقالفيهذاالصدد:<<و اذنفقدوضحليكلالوضوحأنيقينكلعلموحقيقتهإنمايعتمدانعلىمعرفتناللإلهالحقبحيثيصحليأنأقول : إنيقبلأنأعرفاللهماكانبوسعيأنأعرفشيئاأخرمعرفةكاملة>>[1].

-عرضالغزالي

فيحلهكيفارتفعالشكمباشرةعنطريقاليقينالمطلقالذيأتتبهمعرفةاللهالمدركةادراكاحدسيا،وقدعرضالغزالي الحلمتمثلافيصورةالنورالذيقذفهاللهفيصدره، أماديكارتفقدميزفيعمليةرفعالشكعلىخلافمافعلهالغزالي ،بدرجاتمتعددةو بطريقةتحليليةأناكائنوأناموجودوأناأفكرفأناموجود ،وأخيراللهموجودولهذافكلما أدركهفيوضوحوتميزفهوحق [(2)].

- إن شك الغزالي في العقليات لايعني شكه في مقاصد الشرع ، بل شك في كل شيء إلا فيالأمورالضرورية أي كل مايتعلق بالشرع[3]،وهنا يختلف ديكارت مع الغزالي ،وبذلك رفض الغزالي كل المعارف العقلية . فالعقل في نظر ديكارت حافل بالأخطاء وعلينا أن نطهره من كل الشوائب التي تلقينها منذ صغرنا ، أوعن طريق حواسنا ، أو تسرعنا في إصدار أحكام علىالموضوعات فإننا نكون تصورات نعتقد على أنها يقينية لكنها في الحقيقة غير ذلك .

ولذلك وجب الشك فيها لنحرر العقل من كل قيود ، فالمعرفة اليقينية نثبت عليها ، والخاطئة نتخلص منها وشك ديكارت في العقل الذي كان يعتبره أعدل قسمة بين الناس ، هوالوسيلة للحكم

على الخطأ والصواب ،وبعد ماعرضناه من موقف ديكارت من الشك فإنه لم يتوقف عند هذا الحد ، بل امتد شكه إلى افتراض وجود شيطان ماكر فهو السبب الذي أدى إلى شكه في العقل ، واللعب بأفكاره في بناء استدلالات و الاستنتاجات والاستنباط.

[1]) -مهديمهديفضلالله، فلسفةديكارتومنهجه، ص 92

[2]) - نجيبلدي ،نوابغالفكرالغربي(ديكارت)، ص 88 .

[3]) - عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي ،دار المعارف ،القاهرة مصر، ط 2 ، 1992 ، ص 73 .

وفي هذا يقول ديكارت : << إن شيطان سيئا (لايقل خبثه ومكرهعن بأسه)،كل ما استعمل كل ما أوتي من حنكة لتضليلي ، وسأفرض أن ، الهواء ، والأرض ، والألوان ، والإشكال والأصوات وسائر الأشياء الخارجية التي نرى ، ليست إلى أوهاما وخيالات ، يلجأ إليهاالشيطان لكي يقنعني>>[1]، ونستنتج من خلال قول كهذا أن هناك شيطان ماكريدفعه للخطأ ، أن هذا الشيطان يمتلك قوة تجعله يضلل أفكاره ،فهو يضللنا ويخدعونا في الوصول إلى الحقيقة وأكثر من ذلك يهمنا على أننا على حق ، ونجد ديكارت يؤكد أنه لا يمكن التخلص من هذا الشيطان إلى من خلال الاستنجاد بالإله يضمن له عدم الزللوالوقوع في الأخطاء هذا الشيطان وتصدي له فهنا يعتمد ديكارت على الضمان الإلهي الذي يعتبره واضع الأفكار في العقل التي تتميز بالبداهة والوضوح

–

الفرقبينالغزاليوديكارتفيالخروجمنالشكأنالأولجعلالنورمنبجسامنالجودالإلهيعلىحينأنالثانيجعلهقائماعلىالكوجيتو ،وهوالأمرالذيلمتستطيعرحابالشكأنتمتدإليه،وسواءأكانرجوعالنفسإلىاليقينبمعونةخارجيةأوبنقدداخليذاتيفإنأمراواحدالاريبفيهوهوأنمفتاحالمعرفةفيكلاالحالينهوالحدس.[2]

–

يمكنالقولأنكلمنالغزاليوديكارتأتبعالشكالمنهجيكمنهجووسيلةللوصولإلىالحقيقةإلاأنكلمنهماتوصلإلىاليقينبطريقتهالخاصة ،فالغزالي توصلإلىاليقينمنالحدسالصوفيبينماتوصلديكارتإلىاليقينبالتأملالعقليوالتفكيرالرياضي.

لذانجد الغزالياختلفمعهفيكيفيةالخروجمنهذاالشك ،وذلكأنديكارتقدشكفيكلشيءحتىفيوجودللهفمنهجه قائمعلىالشكليبلغاليقين،أماالغزاليلميشكفيمقاصدالشرع ، بمعنىأنهانطلقمناليقينللوصولاليه،وبهذافإنعقلانيةديكارت قائمةعلىالشك ،أماالغزاليمبنيةعلىاليقينوهذهالفكرةالتي بنىعليهاالغزاليمنهجهنجدهاتتجددمنجديدعندالفلاسفة المعاصرينمنبينهمطهعبدالرحمانالذييطرحنفسالفكرةمتهكما علىالكوجيتوالديكارتيمنخلالمشروعهالفكريوالفلسفي،فإنه يطرحفكرةالغزاليفيقالبجديد[3].

1) - رينيهديكارت،تأملاتميتافيزيقيةفيالفلسفةالأولى،ص27.
2) - محمودحمديزقزوق،المنهجالفلسفيبينالغزاليوديكارت،ص 1 .
3) -طهعبدالرحمن،العملالدينيوتجديدالعقل، ص 86

– ان ديكارت شك في كل ماتعلمناه ، فقد ثار على كل تقليد و رفض الحواس ، وبعبارة أخرى فإن جميع ظنون عن الوجود تلك الأشياء وطبائعها التى تعرفنا عليها عن طريق الحواس ،لأن حواسنا تخذعنا ولايمكن الوثوق بها ، كما أن العقل لم يسلم من الشك عند ديكارت، غير أن ديكارت يختلف عن الغزالي في طريقة الخروج من الشك ، فإن منهجه قائم على الشك وليس اليقين ، ارتبط المنهج الديكارتي بالعلوم عامة وبالرياضيات خاصة في حين لا جد نفس الأمر عند الغزالي الذي ركز اهتمامه على رفض تعد الحقائق كما تدعي ذلك المذاهب والطوائف الفكرية.

– فكرة الكوجيتو عند ديكارت مركزية، بينما ليست كذلك عند الغزالي، وهو ما جعل المستشرق الإيطالي جيوفاني فورلاني(G.Gurlani) يقول أن ديكارت تأثر بابن سينا في مسألة <<أنا أفكر فأنا موجود>> اعتمادا على نص لابن سينا عنوانه "الرجل الطائر" (الوارد في كتاب الشفاء قسم الطبيعيات)[1]

[1])- مهديفضلالله، فلسفةديكارتومنهجه ، ص 93

المبحث الثالث العلاقةبينالشكالغزاليوالشكالديكارتي

أثارت العلاقة بين ديكارت والغزالي كثيراً من المناقشات ، وكثرت المقالات بين مختلف الأطراف في الدفاع عن هذه القضية وتأكيدها، أو رفضها او تفنيدها، ومن هاته الاطروحات نذكر ما تناوله كل من :

محمد ثابت الفندي[*]: لقد بدأ محمد ثابت مقارنة الغزالي بديكارت مبرراً ذلك بأن المقال في المنهج الذي ألفه ديكارت شبيهاً بما قدمه الغزالي في منقذه، كما أن بواعث الشك لديهما واحدة، بل أن مسألة مقارنة اليقظة بالأحلام قد قال بها الغزالي أيضا، يضاف إلى ذلك أن كلاً منهما بحث عن اليقين ، وقد وجده ديكارت في الكوجيتو والغزالي في نور الله مفتاح أكثر المعارف.

عامر النجار[**]: فيرى في كتابه" قراءات في فكر الغزالي "، احتمال اطلاع وقراءة ديكارت للنص اللاتيني لكتاب المنقذ من الضلال ، او اطلاع احد اصدقائه عليه ونقله له للمنهج الشكي الموجودة فيه [1].

عثمان أمين[***]:أما عثمان أمين فيخبرنا بوجود وجوه للشبه كثيرة بين ديكارت وحجة الإسلام[2]، من خلال كتبه ومؤلفاته ما يؤكد مدى مقدار التأثير والتأثر من خلال التعاقب الحضاري والفكري بين الحضارات

محمود زقزوق:من بين الدراسات التي عقدت للمقارنة بين الغزالي وديكارت، الدراسة التي كتبها محمود زقزوق في كتابه المعنون بـ "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت" [3] ، و هي أوفى ما كتب في هذا المجال،ويسرد في هذا الكتاب المعروف أن ديكارت يحظى في الغرب بتقدير عظيم، وأنه لقب في تاريخ الفلسفة بأبي الفلسفة الحديثة ، ومن المعروف أيضاً أن الغزالي الفيلسوف قد قوبل في الشرق ولا يزال بالجحود والإهمال على المستوى الفلسفي، واتهم بأنه قضى على الفلسفة في الشرق قضاءً مبرماً لم تقم لها بعده قائمة ، ولكن البحث الذي نقدمه إلى القارئ يعطي صورة

[*]محمد ثابت فندي هو مفكر مصري معاصر من اعماله مع الفيلسوف واصول المنطق وفلسفة الرياضيات

[**]عامر النجار أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة قناة السويس بمصر ونائب رئيس جمعية إحياء التراث العلمي، فإلى جانب اهتماماته الفكرية التي احتوتها مؤلفاته في قضايا الفلسفة والثقافة والتصوف والفرق الإسلامية

[1])- عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي ، ص 83 .

[***]عثمان أمين: (27 يناير 1905 – 17 مايو 1978) من أساتذة قسم الفلسفة بجامعة القاهرة ،له العديد من المؤلفات الهامة .

[2])- أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكرالعربي المعاصر، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، د ط، د ت ، ص(266-267).

[3])- يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، ص 289.

أخرى مختلفة تماماً عن هذا الفيلسوف، تكشف عن مدى تهافت الأسس التي قامت عليها التصورات الشائعة [1]عن الغزالي .

ويهدف زقزوق من كتابه كما يخبرنا:أولاً: بيان مدى تطابق أفكار كل من الغزالي وديكارت فيما يتعلق بالشك المنهجي وفي النتائج التي خرجبها كل منهما.

وثانياً: الدعوة إلى إعادة النظر في الحكم على الغزالي الذي قيل عنه أنه هدم للفلسفة في الشرق بينما أحيا ديكارت الفلسفة في أوروبا في العصر الحديث، ويرى أن الغزالي لو كان قد فهم جيداً لكان له تأثير إيجابي في مسار الفكر الإسلامي يوازي تأثير ديكارت في الفلسفة الحديثة .

عثمان الكعاك*: حسب اعتقاده انهأصبح هناك اتفاق بين معظم الباحثين بأن ديكارت اطلع على مؤلفات الغزالي سواء بطريقه مباشرة أو غير مباشرة ، فهناك من يرى أن ديكارت قد وضع بعض الخطوط أو الإشارات تحت عبارات اقتبسها من المنقذ ضمن مخطوطاته التي لم تنشر، حيث يشير المؤرخ التونسي عثمان الكعاك الذي اكتشف في مكتبة ديكارت ترجمة كتاب "المنقذ من الضلال" وقد وضع خط تحت عبارة "الشك أول مراتب اليقين" وكتب على الهامش "يضاف إلى منهجنا"[2]، ويشير ايضا ان هذا ما أكده الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، وأيضاً كتاب لسلفادور غومث نوجالس "الفلسفة الإسلامية وتأثيرها الحاسم في فكر الغرب أثناء العصور الوسطى" الذي ترجمهعثمان الكعاك [3] .

فيصل السامر**:وما يؤكد تصوره هو ما نقله في كتابه "العرب والحضارة الأوروبية"، من انديكارت قد اطلع على كتب الغزالي ولا سيما المنقذ فيقول: <<عقد الكاتب الفرنسي (شارل سومان) فصلاً عن الغزالي وديكارت قارن فيه بين نبذٍ من مؤلفات ديكارت (مقال في المنهج) و (التأملات في الفلسفة) اللذين ضمنهما قواعد الشك الفلسفي، بنبذ من كلام الغزالي في المنقذ ،وقد توصل (سومان) من هذه المقارنة إلى أن ديكارت أفاد من الغزالي ، بل أنه يرى أن مدينة (ليدن) حوت في جامعتها عدداً من أصدقاء ديكارت ،منهميعقوب غوليوس (أستاذ اللغة العربية الذي عاد منالشرق

---

[1]) - محمود زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، ص 11 .

* عثمان الكعاك: مفكر تونسي(1903 - 1976) ، واستاذ بالعديد من الجامعات التونسية والفرنسية، له العديد من الاعمال الفكرية

[2]) - أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكرالعربي المعاصر ، ص 267

[3]) - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

**فيصل السامر مؤرخ وكاتب وأديب ومؤلف عراقي ووزيرعراقي سابق، ولد في (1924/1/12)، توفي سنة 1982

مزوداً بمجموعة من المخطوطات العربية ،كان منها كتاب المنقذ للغزالي وذلك عام 1669م) [1]

يوسف كرم*:فيقول: إن "ما كتبه ديكارت "مقال عن المنهج" و"التأملات"، حيث التشابه الشديد بينهما وبين ما قدم الغزالي في "المنقذ من الضلال"، يؤكد دون أدنى شك تأثر الفيلسوف الفرنسي بفيلسوفنا وأخذه عنه [2] .

زكي نجيبمحمود**:ويقارن زكي نجيبمحمود في صفحات طويلة الغزالي بديكارت في كتابه "المعقول واللامعقول" فيقول :<<إقرأ للغزالي العبارات الآتية وقارنها بما تعرفه عن أصول المنهج عند ديكارت وبيكون. ولتعد إلى المنهج الديكارتي المعروف في هيكله وتفصيلاته واقرأ للغزالي عن هذه الخطوات نفسها، الشك في المعلومات التي سبق لنا أن حصلناها عن طريق العقل، لنعد إلى تشكك الغزالي وديكارت. وهكذا رسم لنا الغزالي طريقاً للشك المنهجي لا نرى بعده شيئاً ننسبه إلى ديكارت>>[3]

محمد إبراهيم الفيومي***: ونجد تصوره في كتابه الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل ، حيث ئؤكد على التشابه والتقاطع الكبير بين منهج الشك لدى الغزالي وديكارت ، ما يؤكد على اطلاع ديكارت على كتب الغزالي ، [4]، و هو نفس الشيء ما يذهب اليه مواطنه الباحث والفقيه المصري المعاصر له محمد يوسف موسى من أن تشابها والتقاءً بين أفكار الغزالي وديكارت لم يأت صدفةً وإنما نتيجة تعرف الثاني على الأول[5].

محمد عزيز الحبابي****: فيسرد في كتابه "ورقات عن فلسفات إسلامية" ، فيقول: <<لقد وقع شيء بين الغزالي وبعض المفكرين (ديكارت وبسكال) يصعب تسميته (تأثيراً) لكنه تشابه مدهش ، فالتشابه جلى بين الغزالي وديكارت بالذات في قضايا منهجية على الخصوص الشك للوصول إلى

الفصل الثالث مقارنة بين الشكين الغزالي والديكارتي

[1]) - عبدالله محمد علي الفلاحي ، نقد العقل بين الغزالي وكانط ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت لبنان ، ط1، 2003، ص52

*يوسف بطرس كرم (8 ديسمبر 1886 - 28 مايو 1959م) هو مفكر ومؤرخ واستاذ مصري معاصر من أبرز مؤسسي الفكر الفلسفي في الوطن العربي

[2]) - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 66 .

**زكي نجيب محمود (1 فيفري 1905م / 8 سبتمبر 1993م)، كاتب وأكاديمي وأستاذ فلسفة مصريمعاصر

[3]) - يوسف العاصي الطويل : النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، ، ص 290.

***محمد إبراهيم الفيومي (1938 - 2006م) ،كاتب وأكاديمي وأستاذ فلسفة مصريمعاصر

[4]) - أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكرالعربي المعاصر، ص 269 .

[5]) - عبد الله محمد علي الفلاحي ، نقد العقل بين الغزالي وكانط ، ص53 .

****محمد عزيز لحبابي (25 ديسمبر 1922 بمدينة بفاس، وتوفي يوم 23 أغسطس عام 1993)، هو فيلسوف وروائي وشاعر مغربي، كتب باللغتين العربية والفرنسية.

الحقيقة، وقواعد المنهج>>، ويخصص فقرة هامة عن ديكارت والغزالي حيث يبين نقاط الالتقاء بين النسقين الديكارتي والغزالي، وأن نقاط الاتفاق بينهما أكثر من نقاط الاختلاف[1]

فديكارت مثل الغزالي في شكه في المحسوسات والمتخيلات، حتى لنجد توافقاً في الأقوال والعبارات. وهو مثل الغزالي، حين يلجأ إلى النفس، لا إلى العالم لمعرفة الحق سبحانه، وهو يختار العزلة والتأمل ، ويرفض منطق الأولين للاستدلال على وجود الله ، فكم من براهين وكم من أدلة، وقد يخدعنا العقل ، كما تخدعنا الحواس. وكما يروي الغزالي ، قصة شكه ويقينه، أي قصة الذاتية، في المنقذ من الضلال ، و يرويها ديكارت في المقال في المنهج والتأملات في الفلسفة الأولى قد بدا أثر الشك المنهجي عند الغزالي واضحاً في منهج ديكارت [2] .

مونتجمري وات*: المستشرق والدارس للغزالي فيرى ويستنتج بأن يكون اللاحق قد تأثر بالسابق قوله: <<إن الغزالي يقدم مناقشات تذكرنا بديكارت، والذي دفع الغزالي إلى البحث عن الحقائق الضرورية، دفع ديكارت، وكان ديكارت – شأنه شأن الغزالي – شك في يقين المدركات الحسية، وتوجيه فلسفته إلى المبادئ المؤكدة حدسيا>>[3] .

محمود الخضيري**:فيرى أن منهج ديكارت لم يسبقه إليه أحد في الشرق ولا في الغرب، ذلك لأن هذاالمنهج تطبيق موفق للرياضيات على مناحي الفكر، ويرى أن شك ديكارت يختلف عن شك الغزالي[4].

عبد الرحمن بدوي***: فيرى بأنه لا مجال لمقارنة الشك واليقين بين ديكارت والغزالي لأن الغزالي لم يتنقل من الشك إلى اليقين بالدليل العقلي المنظم ، بل بنور قذفه االله في صدره ، أي بأمر فوق عقلي ، فما أبعد هذا المسلك عن منهج ديكارت ، إن منهج ديكارت طريق للوصول من الشك إلى اليقين بخطوات عقلية حذرة، تبدأ من أرض راسخة هي "الكوجتو" لتنتقل منها إلى الحقائق العقلية

[1]) - أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكرالعربي المعاصر، ص 270 .

[2]) - نازلي إسماعيل حسين ، الميتافيزيقا والبحث عن الوجود، المكتبة القومية، القاهرة مصر، د ط ،1983، ص 298 .

*وليام مونتغمري وات (14 مارس 1909 - 24 أكتوبر 2006) هو مستشرق بريطاني عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة

[3]) - عبد الله محمد علي الفلاحي ، نقد العقل بين الغزالي وكانط ، ص 54 .

**محمود رضا عبد العزيز محمد الخضيري ، المشهور بمحمود الخضيري (وُلد يوم 13 يناير 1940، مسجون حاليا بمصر) محام مصري ونائب سابق لرئيس محكمة النقض المصرية

[4]) - يوسف العاصيالطويل ، النزعةالنقدية فيفلسفةأبوحامدالغزالي ، ص 288 .

***عبد الرحمن بدوي (4 فيفري 1917 - 25 جويلية 2002 القاهرة)، أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا.

المستنبطة منها استنباطاً عقلياً محكماً. والغاية النهائية من البحث العقلي عنده هي الرياضيات الكلية، ولهذا يرى د. بدوى أن التشابه بين كلامهما تشابه في الظاهر فحسب، بينما مقصد كل واحد منهما يختلف عن الآخر[1] ، فديكارت يتحدث عن الآراء التي تلقيناها في العلوم المختلفة .

أما الغزالي فيتحدث عن المعتقدات الدينية، التي نتلقاها عن الآباء والمعلمين في الطفولة وريعان الصبا، فهو هنا يقصد ما يقصده الفقهاء من الدعوة إلى الاجتهاد، بدلاً من التقليد. أما ديكارت فيريد التخلص من النظريات العلمية المنقولة كي نمحصها بالبيان العقلي وبالاستنباط المنطقي. إن منهج الغزالي أدى به إلى التصوف، أي إلى أمور غير عقلية ولا منطقية أما منهج ديكارت فقد به إلى اختراع الهندسة التحليلية، وإلى وضع مبادئ للميكانيكا، وإلى ادخال الكم في تصور المكان، وترجمة الوقائع الهندسة بمعادلات جبرية وتفسير ظواهر الكون تفسيراً رياضياً. فشتان إذن بين الغزالي وبين ديكارت[2] .

زكي مبارك* :وفي دراسة بعنوان "التصوف والأخلاق عند الغزالي " لزكي مبارك، قارن في الباب الثالث عشر منها بين الغزالي والمحدثين، وتوقف طويلاً أمام مقارنته بديكارت موضحاً الفرق بينهما قائلاً: <<فالغزالي خرج من شكه بطريقة لا تصل بأحد إلى يقين .خرج من شكه بنور الله ، ونور الله هذا لا يعرفه العلم حتى يضمه إلى ما لديه من أصول.. وما دام الغزالي لم يرجع عن شكه هذا بنظم دليل وترتيب كما قال، فمن العبث أن يستعين بالعقل والمنطق ليخرج من ظلمات الشكوك، وهذا يناقض ما فعله ديكارت للخروج من شكوكه.. وكذلك كان الغزالي سبباً لخمود الفلسفة في الشرق بينما كان ديكارت سبباً لنهوضها في الغرب >>[3] .

[1] – يوسف العاصيالطويل ، النزعةالنقدية فيفلسفةأبوحامدالغزالي ، ص 291 .
2) - عبد الرحمن بدوي ، أوهام حول الغزالي ، كليةالاداب ،الكويت، د ط ، د ت ، ص 75.
*زكي عبد السلام مبارك (5 أوت 1892 - 23 جانفي 1952) هو أديب وشاعر وصحفي وأكاديمي عربي مصري
[3] - أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكرالعربي المعاصر، ص 265 .

ملخص الفصل

منخلالالدراسةالتحليلية لهذا الفصل ،توصلنا البطبيعةالعلاقةبينالشكالغزاليوالشكالديكارتيمن خلال تبيان مدى نقاط الالتقاء ونقاط التباين ، ودرجة التأثير والتأثر بينهما

، و باختصار يمكن ايجاز اهم التوافقات بينهما فيما يلي :

– دعا كل من الغزالي وديكارت إلى التحرر من الأحكام المسبقة والأوهام والخيالات والتقليد من أجل الوصول لمعرفة يقينية من نتاج العقل وحده.

– اعتمد كل من الغزالي وديكارت على منهج أساسه الشك المنهجي. وتجلي ذلك في التخلي عن المناهج الموروثة ورفض تعدد الحقائق والبحث عن حقيقة واحدة جلية.

– ارتبط الشك المنهجي عند الغزالي وديكارت بتجربة شخصية وجهد شخصي وتأمل فلسفي.

– انتقدا معا خداع الحواس والعقل.

اما اهم الفروق بينهما فهي :

– سبب الشك عامة عند الغزالي هو أنه قرر أن يتقصى الحقيقة بنفسه ويتوصل إلى اليقين ليصبح إيمانه قائماً على الاقتناع العقلي وليس قائماً على الوراثة أما سبب الشك عامة عند ديكارت فهو فحص المعرفة واستبعاد الأفكار الخاطئة من العقل وتأسيس اليقين على أسس واضحة لامجال للشك فيها بعد ذلك.

–سبب الشك في العقل عند الغزالي هو أنه ربما تظهر في المستقبل قوة أكبر من العقل تثبت خطأ أحكام العقل أما سبب الشك في العقل عند ديكارت فهو وجود شيطان ماكر منذ وجوده ظل يخدعه ويصور له الوهم على أنه حقيقة لذلك قد تكون الأحكام العقلية خاطئة بسبب هذا الشيطان الماكر.

–وسيلة اليقين عند الغزالي هي الحدس القلبي أما وسيلة اليقين عند ديكارت فهذي الحدس العقلي المباشر.

–توصل الغزالي إلى يقين إثبات الله أولاً ثم وجود النفس ثم وجود العالم الخارجي بينما توصل ديكارت إلى يقين وجود النفس أولاً ثم وجود الله ثم وجود العالم الخارجي

ثالثا : وفيالنهايةفان دراسات الباحثين والمفكرين، اختلفت و تباينت بين من يؤكد على فكرة التأثير الحضاري وبين اطلاع احدهما على الاخر ، وبين من يرى بأنه لا مجال لمقارنة الشك واليقين بينهما، وان كانت اغلبها تؤكد على فكرة التشابه الموضوعي والمنهجي في اغلب مباحثهما

خاتمة

بعد معالجتنالاشكالية الشك المنهجي عند كل من الغزالي وديكارت، ضمن هاته الفصول المقدمة ،ووسط تجاذبات فكرية ومعرفية محاطة حول هذين المفكرين ، وما نتج عن ذلك تقارب الرؤى لدى البعض حولهما او تباعد وتضارب حولهما، وانطلاقا مما سبق توصلنا وارتاينا الى مجموعة من النتائج، نختصرها فيما يلي:

– إن تناول موضوع الشك بين الإمام أبي حامد الغزالي و الفيلسوف الفرنسي الشهير ديكارت ، يجب أن يأخذ في الاعتبار التوافق المثير بين أفكار كلا الفيلسوفين بل و حتى بعض جوانب السيرة الذاتية لهم. فقد عاش كل منهما في عصر انحلت فيه عرى وحدة الفكر إلى مجموعة من الآراء المتناقضة التي تدعى كل منها لنفسها معرفة الحقيقة، ولكن دون أن تستطيع في النهاية البرهنة على صحة هذا الادعاء.

– اما فيما يخص التوافق الفكري بينهما فلا بد أن ذلك راجع إلى احتمالية عملية التأثير و التأثر أي أن أحدهما كان متأثرا بالآخر، ووفقا لتواجدهم في التاريخ نجد أن الغزالي كان موجودا قبل ديكارت ستة قرون تقريبا مما يعطي النتيجة بأن هذا الشك المنهجي كانت أصالته عند الغزالي و أن ديكارت بنى على فلسفة الغزالي.

– يؤكد حقيقة التقاطع بين المنهجين لكل من الغزالي وديكارت ، العديد من الباحثين والمختصين و فيما يلي مقالة لسمير حلبي كتبها في ذكرى وفاة الإمام الغزالي فيقول " وهذا المنهج الذي اتبعه الغزالي منذ أكثر من تسعة قرون شديد التشابه بما قدمه الفيلسوف الفرنسي ديكارت وهو ما يؤكد تأثره بالفيلسوف الإسلامي الكبير وأخذه عنه؛ فقد عاش الفيلسوفان التجربة المعرفية ذاتها، وإن كان فضل السبق والأصالة يظل الغزالي، فعبارة الغزالي الشهير "الشك أول مراتب اليقين" التي أوردها في كتابه "المنقذ من الضلال" هي التي بنى عليها ديكارت مذهبه.

– يدعي العديد من الدارسين والمختصين ، الى اطلاع الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ، على الاعمال المترجمة للاتينية لابي حامد الغزالي ،و هذا ما يذهب اليه الباحث التونسي "العكاك" حينما عثر بين محتويات مكتبة ديكارت الخاصة بباريس على ترجمة كتاب المنقذ من الضلال، ووجد أن ديكارت قد وضع خطًا أحمر تحت تلك العبارة، ثم كتب في الهامش: "يضاف ذلك إلى منهجنا". يشير ديكارت هنا إلى كتابه مقال عن المنهج .

– إذا أردنا أن نعقد مقارنة بهذا الموضوع ، لتوضيح تأثير الغزالي على ديكارت فيمكن ذلك عن طريق كتاب المنقذ من الضلال و كتاب مقال عن المنهج فستجد التوافق الغريب بينهم ، أو ليس بالغريب بعدما عرفنا تأثر ديكارت بالغزالي و اطلاعه على كتابه المنقذ ، و لكن قبل أن نعقد تلك المقارنة لا بد الإشارة إلى ما كان يجب أن يفعله فيلسوف كبير مثل ديكارت في مثل هذا الموقف و أقصد بذلك أن يوضح مصدره في هذا المنهج لا أن يدعي الفكرة أو أن يذكرها و يسكت مما يجعل نسبة هذا المنهج إليه بينما أصالة المنهج راجع إلى الغزالي ، و هو ما يسمى عندنا في الفترة المعاصرة بالأمانة العلمية ، و هذا يعتبر من المآخذ التي تأخذ على ديكارت و هذا لا يلغي كونه فيلسوف كبير له تأثير واسع على الفلسفة التي أتت بعده .

– ولكن هناك فروق أساسية بين كل من العصر الذي عاش فيه الغزالي و العصر الذي عاش فيه ديكارت تلك الفروق تجعل المهمة الفلسفية لكل منهما تتخذ طابعاً خاصاً يظهر بوضوح في طريقة تفكيرهما، فقد ازحم عصر الغزالي بصفة خاصة بمشكلات دينية متعددة، فظهرت الاتجاهات الدينية والاتجاهات الفلسفية، وقد كان الفكر عند كل هذه الطوائف قائم على التقليد.

وقد عرف الغزالي أن هذا الفكر القائم على التقليد يمثل المشكلة الكبرى لعصره، لهذا رأى أنه من واجبه مكافحة كل أشكال التقليد، أما عصر ديكارت فقد اتسم بوجه خاص بالاكتشافات الهامة في مجال العلوم وشروحها مما شكك في الآراء والتصورات المسيحية بوجه عام .

ومع وجود هذه الإختلافات بين عصريهما إلا أن الغزالي وديكارت اشتركا في الطريقة الفلسفية الحقيقية التي قادتهما في النهاية إلى الهدف المطلوب بلوغه عند كل منهما.

–دعى كل من الغزالي وديكارت إلى التحرر من الأحكام المسبقة والأوهام والخيالات والتقليد من أجل الوصل لمعرفة يقينية من نتاج العقل وحده، اعتمد كل من الغزالي وديكارت على منهج أساسه الشك المنهجي. وتجلي ذلك في التخلي عن المناهج الموروثة ورفض تعدد الحقائق والبحث عن حقيقة واحدة جلية .

–ارتبط الشك المنهجي عند كل من الغزالي وديكارت بتجربة و معاناة شخصيةوجهد شخصي وتأمل فلسفي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع

المصادر:

أبوحامدالغزالي :

- احياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ج3، د ط ، د ت.
- ميزان العمل ، تقديم علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، د ط ، 1995.
- الاقتصاد في الاعتقاد ، مطبعةالسعادة،محافظةمصر، ط 2 ، 1327 هـ
- المنقذمن الضلال، تحقيق كامل عياد ، دارالأندلس ، بيروت لبنان، د ط ، د ت.
- محك النظر ، الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي ، الأردن ، د ط ، د ت.
- معراج السالكين ، مطبعة السعادة، مصر ،ج 3، د ط ، 1924.
- معيار العلم ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف ، مصر ، دط ، 1961م.
- معيارالعلم في المنطق،دارالكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د ط ، 1990.

رينيه ديكارت

- تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: كمال الحاج ،منشوراتدويرات ، بيروت ، ط 4 ، 1988 م.
- قواعدلهدايةالعقل ، تر : سفيان سعدالله ،دارسراس للنشر ، تونس ، د ط ، 2001 م.
- مقال عن المنهج، تر: محمودمحمدالخضيري،دارالكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،ط 2 1968م .

المراجع:

- إبراهيممصطفىإبراهيم ،الفلسفةالحديثةمنديكارتإلىهيوم ، دارالوفاءلدنياالطباعة والنشر،الإسكندرية مصر ، د ط ، 2001 م
- احمد أمين وزكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة للجنة التأليف والترجمة ، القاهرة مصر، د ط ،1936
- أحمد عبد الحليم عطية ، الديكارتية في الفكر العربي المعاصر ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر، د ط ، د ت .
- توفيقالطويل، أسسالفلسفة،مكتبةالنهضة ، القاهرة مصر ، ط3، د ت
- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاءّ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ج9 ، ط 3، د ت
- الربيعميمون،مشكلةالدورالديكارتي،الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع ،الجزائر ،ط 1 ،1982
- زكرياءبشيرإمام،الفلسفةالنورانيةعندالغزالي ، مكتبةالفلاحللنشروالتوزيع ، الكويت، د ط ،1989
- زكرياءبشيرإمام،تاريخالفلسفةالإسلامية،الدارالسودانيةللكتب ،السودانالخرطوم ، ط1 ، 1418 هـ – 1998م
- سليماندنيا ،تهافتالفلاسفةللإمامالغزالي، دارالمعارف،القاهرة مصر ، ط4 ، د ت
- سمية بيدوح ، فلسفة الجسد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، تونس ، د ط ،
- طهعبدالرحمن،العملالدينيوتجديدالعقل،المركزالثقافيالعربي، الدارلبيضاءالمغرب ،ط2 ،،1997
- عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي ، دار المعارف ،القاهرة مصر، ط 2 ،1992
- عبد الله محمد علي الفلاحي ، نقد العقل بين الغزالي وكانط ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ،2003
- عبد الرحمن بدوي ، أوهام حول الغزالي ، كلية الاداب ، الكويت ، د ط ، د ت ، ص 75.
- عبدالرحمنبدوي،مؤلفاتالغزالي ، نشروكالةالمطبوعات،الكويت، ط 2 ،1977

-

- عبد الوهاب جعفر ، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، الفتح للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، د ط ، 2003
- عثمانأمين،ديكارت،مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة مصر ،ط 6 ،1969
- فيصل بدير عون ، الفلسفة الإسلامية في المشرق ، مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، د ط ،1982 م
- كاملمحمود ،دراساتفيتاريخالفلسفةالعربية ،دارالفكراللبناني، بيروت لبنان ،ط1، د ت
- محمد حسن مهدي بخيت ، ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت ، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1 ، 2012
- محمد عقبل المهدلي ،المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت للوصول الى الحقيقة ، دار الحديث،جازان السعودية
- محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر، ج 4 ، د ط ، 1996
- محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت ، مكتبة أنجل المصرية ، القاهرة مصر، ط 3 ،1981
- مهديفضلالله ،فلسفةديكارتومنهجه ، دارالطليعةللطباعةوالنشر،لبنان ،ط 3 ، 1996
- نجيببلدى،نوابغالفكرالغربيديكارت،دارالمعارف، القاهرة مصر،ط 2 ،2004
- نظميلوقا ، اللهأساسالمعرفةوالأخلاقعندديكارت،المطبعةالفلسفيةالحديثة، القاهرة مصر،د ط ، 2003م
- نور الدين السافي ، نقد العقل ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس تونس ، ط 1، 2003،
- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر :محمدالسيدأحمد،دارالتنويرللطباعةوالنشر،بيروتلبنان، ط 1،2010
- يوحناقمير، فلاسفةالعرب" الغزالي " ،المطبعةالكاثولكية، بيروت لبنان ، ط3،ج1، 1953
- يوسف العاصي الطويل ، النزعة النقدية في فلسفة أبو حامد الغزالي ، مكتبة حسن العصرية ، بيروت لبنان ، ط 1، 2006.

- يوسف القرضاوي ،الغزالي بين مادحيه وناقديه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2000م
- يوسفمخائيلأسعد،سيكولوجيةالشك ، نشرمكتبةغريب،القاهرة مصر ، ط1 ، 1998
- أندريه كريسون ، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث ، تر نهاد رضا ، منشورات عويدات ،بيروت لبنان ، ط 2 ، 1982
- باروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، تر: حسن منفي، دار التنوير، بيروت لبنان ، د ط ، 2005.
- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي ، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1964.
- جانقال،الفلسفةالفرنسيةمنديكارتإلىسارتر ،تر :فؤادكامل،دارالثقافةللنشروالتوزيع،القاهرةمصر، د ط ، د ت.
- جنفيافروليسلويس،ديكارتوالعقلانية،تر :عبدهالحلو ،منشوراتعويدات،بيروت، ط 4 ، 1988.
- جون كوتنفهام ، العقلانية ، تر: محمود منقذ الهاشمي ،مركز الإنماء الحضاري، دمشق سوريا ، ط1 ،1997.
- دافيد هيوم ، مبحث في الفهامة البشرية ، تر: موسى وهبة ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، ط 1، 2008.
- ديفروبنسن/جودجروفز ،أقدم لك ديكارت،تحقيق إمامعبدالفتاحإمام، الهيئة العامةللشؤونالمطابعالأميرية،القاهرة ، د ط ، 2001 م.

قائمة المعاجم والموسوعات:

- إبراهيممذكور ،المعجمالفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،القاهرة مصر، د ط ، 1403هـ - 1983م
-

أبيحسينأحمدبنفارسبنزكرياء،معجممقاييساللغة(بتحقيقوضبطعبدالسلاممحمدهارون)،دارالفكرللطباعةوالنشر ، دمشق سوريا،ج 3 ، ط 1، 1979

– فؤادكاملو آخرون ،الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،دارالقلم ،بيروت لبنان ،ط1 ، د ت
– محمد جواد ، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات ، دار مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان ، د ط ، د ت.
– عبدالرحمانبدوي ،موسوعةالفلسفة ،المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر، بيروت لبنان ،ج1 ،ط 1،1984م .
– زكينجيبمحمود،الموسوعةالفلسفيةالمختصرة ،دارالقلم ،بيروت لبنان ،ط1 ،د ت ، ص189 .
– جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ج 2 ، د ط ، 1979
– أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 2001
– تيد هوندرتش(Ted Honderich) ، دليل أكسفورد للفلسفة ، تر:نجيبالحصادي ،المكتبالوطنيللبحثوالتطوير ،ليبيا ، د ط ،2003

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	ا
الفصل التمهيدي	10
المبحث الاول :مفهومالشكوأنواعه.	10
المبحث الثاني :حياةالغزالي	13
المبحث الثالث:حياةديكارت.	16
خلاصة الفصل :	18
الفصل الاول : الشك وطبيعته عند ابي حامد الغزالي	19
تمهيد	20
المبحثالأول : أزمةالشكعندالغزالي	20
لمبحثالثاني : مجالات الشك عند الغزالي	25
المبحث الثالث: منهج الغزالي في العلم والمعرفة	30
المبحث الرابع : تقييمونقد	33
خلاصة الفصل	37
الفصل الثاني : طبيعة الشك عند رينيه ديكارت .	39
تمهيد .	39
المبحث الاول : رحلة ديكارت في بحثه عن المعرفة	43
المبحث الثاني : الشكالمنهجيوالكوجيتوالديكارتي	50
المبحث الثالث: المنهج الديكارتي	57
المبحث الرابع : تقييمونقد	57
الفصل الثالث: مقارنة بين الشك الغزالي والشك الديكارتي	65
تمهيد	67
المبحث الاول: أوجهالتقاربيبينالشكين لكلمنالغزالي وديكارت.	67
المبحث الثاني :نقاطالتباينوالاختلافبينشككلمنالغزاليوديكارت	76
المبحث الثالث :العلاقةبينالشكالغزاليوالشكالديكارتي	80

خلاصة الفصل	87
الخاتمة :	87
قائمةالمصادروالمراجع.	90
فهرسالموضوعات	96